حياة القلوب

تفسير كلام علام الغيوب

الجزء العاشر

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء العاشر من تَفْسِيرِ: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ)، أسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بفضله ومنه وكرمه، وأن ينفع به إنه خير مسؤول وأكرم مأمول.

وكتبه/ سعيد بن مصطفى محمد دياب

الدوحة في: ٢٨ جمادى الأولى ١٤٤٥هـ

الموافق: ١٢ ديسمبر ٢٠٢٣م

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٤١

الْغَنِيمَةُ: هِيَ الْمَالُ الْمَأْخُوذُ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْوَةً. وَالْفَيْءُ: مَا أُخِذَ مِنْهُمْ صلحًا بغير قتالٍ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ﴾.[1]

وقيل: الْغَنِيمَةُ: هِيَ الْمَالُ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ عَنْوَةً. وَالْفَيْءُ: ما ظَهَرَ عليه الْمُسْلِمُونَ من أَرْضِ الْمُشْرِكِينَ؛ قال الْحَسَنُ بْنِ صَالِحٍ: سَأَلْتُ عَطَاءَ بْنَ السَّائِبِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١]، وَهَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: ٧]، قَالَ قُلْتُ: مَا الْفَيْءُ وَمَا الْغَنِيمَةُ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَعَلَى أَرْضِهِمْ، وَأَخَذُوهُمْ عَنْوَةً فَمَا أَخَذُوا مِنْ مَالٍ ظَهَرُوا عَلَيْهِ فَهُوَ غَنِيمَةٌ، وَأَمَّا الْأَرْضُ فَهِيَ فِي سَوَادِنَا هَذَا فَيْءٌ».[2]

وقيل: هما بمعنى واحد، والراجح الأول.

قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ.....﴾. هذا بيان من الله تعالى لأحكام الغنائم وبيان لقسمتها.

والغنائم من خصائص هذه الأمة أباحها الله تعالى لنا كرامةً لنبينا صلى الله عليه وسلم، ورحمة بهذه الأمة، ولم تحل لأمة قبلنا؛ فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،

١ - سُورَةُ الحشر: الآية/ ٦

٢ - رواه الطبري (١١/١٨٤)

وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ».[1]

وإنما كانت تجمع الغنائم فتنزل نارٌ من السماء فتأكلها؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وفيه: فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنَا الْغَنَائِمَ، رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا، فَأَحَلَّهَا لَنَا».[2]

قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ.....﴾، تفصيل لما أجمل في بداية السورة، وتعليم من الله تعالى للمؤمنين ما يجب عليهم في تقسيم ما ينالونه من الغنائم من اعدائهم، وافتتاح الآية بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا﴾، للتنبيه على أهمية هذا الحكم، وأنه لا مدخل للرأي فيه، وكان العرب في الجاهلية يجعلون ربع الغنيمة لقائد الجيش، ويسمون ذلك المرباع؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم: "أَلَسْتَ تَأْكُلُ الْمِرْبَاعَ"؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: "فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ".[3]

وقوله تعالى: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، بيان أنه لا يخرج شيء من الغنائم عن تلك القسمة فإن (ما) تفيد العموم، و (مِنْ شَيْءٍ) تفيد الإطلاق، فيدخل في قسمة الغنائم الخيط والمخيط، وفي الآية تحذير من أخذ شيء من الغنائم قبل القسمة وإن قلَّ.

---

١ - رواه البخاري- كتاب التيمم، باب التيمم، حديث رقم: ٣٣٥، ومسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٥٢١

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ فَرْضِ الْخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أُحِلَّتْ لَكُمُ الْغَنَائِمُ، حديث رقم: ٣١٢٤، ومسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ تَحْلِيلِ الْغَنَائِمِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَاصَّةً، حديث رقم: ١٧٤٧

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٩٣٨٩، بسند حسن

ثم شرع في بيان قسمة الغنائم فقال: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾، أي: خمس ما غنمتم من المغانم لله تعالى يقسمه كما يشاء تعالى، أي: ما غنمتم يقسم إلى خمسة أخماس، خمس منها يقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته وبعد موته يصرف في مصالح المسلمين، ولذي القربى وهم أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب، واليتامي وهم من فقدوا آباهم من أطفال المسلمين، والمساكين وهم أهل الحاجة والفاقة من المسلمين، وابن السبيل وهو المنقطع به في سفره؛ وأربعة أخماس الغنيمة للغانمين الذين باشروا القتال؛ روى الإمام أحمد عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَرَةً مِنْ جَنْبِ بَعِيرٍ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ، لَا يَحِلُّ لِي مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ قَدْرَ هَذِهِ إِلَّا الْخُمُسُ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ".[1]

قَولُه تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ﴾.

لما كان المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ.....﴾، العمل بما دل عليه ذلك العلم، والرضى بما قضى الله تعالى به من ذلك الحكم، علق الله تعالى الإيمان على قبول ذلك الحكم والتسليم له، فقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾؛ أي: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَاعْمَلُوا بِمَا عَلِمْتُمْ، وارضوا بما حكم الله تعالى به.

ومما يدل على أن أداء الخمس من الإيمان ما رواه مسلم في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ، وَقَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، فَلَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرِ الْحَرَامِ فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نَعْمَلُ بِهِ، وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، قَالَ: آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الْإِيمَانِ بِاللهِ

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٢٧١٨، بسند حسن

ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ فَقَالَ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ...».[1]

﴿وَما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا﴾.

أي: إن كنتم آمنتم بالله وآمنتم بما أنزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم في شأن القسمة، والإضافة في (عبدنا) للتشريف.

﴿يَوْمَ الْفُرْقانِ﴾.

أي: يوم بدر، ولقب بيوم الفرقان لأن الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل؛ قال ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿يَوْمَ الْفُرْقانِ﴾، يَعْنِي بِالْفُرْقَانِ: يَوْمَ بَدْرٍ، يَوْمَ فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.[2]

﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ﴾.

أي: يوم التقى أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وفيه تنبيه للمؤمنين وتذكير لهم بفضله تعالى عليهم وإحسانه إليهم بنصرهم على أعدائهم على قلتكم وكثرة أعدائهم.

﴿وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والله لا يعجزه شيء؛ كما نصركم على عدوكم على قلتكم وكثرتهم.

---

١ - رواه البخاري- كتَابُ فَرْضِ الْخُمُسِ، بَابٌ أَدَاءُ الْخُمُسِ مِنَ الدِّينِ، حديث رقم: ٣٠٩٥، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، حديث رقم: ١٧

٢ - رواه الحاكم- كِتَابٌ: الْهِجْرَةُ، حديث رقم: ٤٣٥١، بسند صحيح

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٤٢

العدوة لغة: جانب الوادي، والدنيا القريبة من المدينة، وهي تأنيث الأدنى، وضدها القصوى وهي تأنيث الأقصى.

يقول الله تعالى: واذكروا يا معشر المسلمين إِذْ أَنْتُمْ نُزُولٌ بجانب الوادي القريب من المدينة، وعدوكم من المشركين بالجانب الأقصى من المدينة، وعير أبي سفيان ومن معه، ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أَي: فِي موضعٍ أَسفلَ منكم إِلَى سَاحِلِ البحرِ، عَلَى ثلاثةِ أَميالٍ مِن بَدرٍ.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾.

أي: ولو تواعدتم أنتم والمشركون على القتال لاختلفتم في الميعاد ولم يتحقق ذلك التقدير في هذا التوقيت؛ لقلتكم وكثرتهم.

﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾.

أي: ولكن قضى الله تعالى ملاقاتهم لما قدره تعالى من النصر لأوليائه، وإعزاز دينه، وإذلال الشرك، وهزيمة أعدائه، من غير تدبير منكم؛ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: " أَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ فِي الرَّكْبِ مِنَ الشَّامِ، وَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ لِيَمْنَعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، فَالْتَقَوْا بِبَدْرٍ، وَلَا يَشْعُرُ هَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ وَلَا هَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ، حَتَّى الْتَقَتِ السُّقَاةُ، قَالَ: وَنَهَدَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.[1]

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾.

١ - رواه الطبري (١١: ٢٠٧)

المراد بالهلاك هنا الكفر، والمراد بالحياة الإيمان؛ أي: ليكفر من كفر عن حجة بينة فيما له وعليه، ويؤمن من آمن عن حجة بينة فيما له وعليه؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وقال عن الكفار: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾.[١]

وقيل: المراد بالهلاك الموت؛ لأنه في مقابلة الحياة؛ أي: جمعكم الله تعالى بذلك التقدير المحكم، لَيمُوتَ مَن مَاتَ مِن المشركين عن حجة لله قامت عليه، وَقَطَعَت عُذرَه، وَعِبرَةٍ قَد عَايَنَهَا وَرَآهَا، ويعيش من يعيش عن حجة لله قامت عليه، وَقَطَعَت عُذرَه، وَعِبرَةٍ قَد عَايَنَهَا وَرَآهَا.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

سميع لأقوالكم، وأقوال المشركين، عليم بأحوالكم وأحوالهم، لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، عليم بإيمان من آمن وكفر من كفر.

الأساليب البلاغية:

الطباق بين لفظ: ﴿الدُّنْيَا﴾ و ﴿الْقُصْوَى﴾، وبين لفظ: ﴿لِيَهْلِكَ﴾ و ﴿يَحْيَى﴾، وبين لفظ: ﴿هَلَكَ﴾ و ﴿حَيَّ﴾.

الاستعارة في قوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ استعار الهلاك والحياة للكفر والإيمان.

التوكيد بـ (إنَّ) ولام القسم في قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ لتأكيد عنايته تعالى بأوليائه، وإحاطة علمه تعالى بكيد أعدائه.

---

١ - سورة النحل: الآية/ ٢١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٤٣

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ممتنًّا عليه وعلى أصحابه: واذكر يا محمد إذ يريك الله تعالى أعداءكم قليلا عددهم ضعيفًا أمرهم، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، بهلاك المشركين وأراهم مصارعهم فشحذ عزائمهم وقويت نفوسهم؛ فعن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: "إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ".[1]

قَالَ مُجَاهِدٌ: أَرَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُمْ فِي مَنَامِهِ قَلِيلًا فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ، فَكَانَ تَثْبِيتًا لَهُمْ.

﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾.

أي: ولو أراك الله تعالى عدد المشركين كثيرًا، ثم أخبرت أصحابك بذلك لجبنوا عن لقاء أعدائهم، واختلفوا فيما بينهم، وأصل التنازع: الاختلاف الذي يحاول كل واحد نزع الآخر عما هو عليه.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾.

أي: ولكن الله سلم من الفشل والتنازع.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

أي: إنه تعالى عليم بما تكنه صدوركم من الإيمان والتقوى، وحب الله وطاعته، فعصمكم من الزلل، وسلمكم من الفشل.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَيْهِ وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ، حديث رقم: ٢٨٧٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٤٤

يخبر الله تعالى أن من نعمه التي امتن بها على المؤمنين أنه قلل عدد المشركين في أعينهم وقلل عدد المؤمنين في أعين المشركين، ليغري بعضهم ببعض، وكما حصل ذلك لرسول الله تعالى في النوم، حصل للمؤمنين يقظة.

كان عدد المسلمين يوم بدر ثلاثمائة وأربعة عشر رجلًا، وكان المشركون ما بين التسعمائة والألف، والنسبة على هذا ثلاثة أمثال، فقلل الله تعالى عدد المشركين في أعين المؤمنين فرأوهم مثليهم؛ قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾.[1]

وكان من حكمة الله تعالى في تقليل أعداد الفريقين أن قويت قلوب المؤمنين للقاء أعدائهم، وزادت جرءتهم، واستهان المشركون بعدد المؤمنين فلم يعدوا للأمر عدته، ولم يبالغوا في الاستعداد للقتال؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودٍ قَالَ: "لَقَدْ قُلِّلُوا فِي أَعْيُنِنَا يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِي: تَرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ قَالَ: أَرَاهُمْ مِائَةً، قَالَ: فَأَسَرْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَقُلْنَا كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: أَلْفًا".[2]

﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾.

في الكلام حذف تقديره: قلل كل طائفة في أعين الأخرى ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا من إعزاز الدين ونصر المؤمنين.

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾.

أي: ولا يعزب عن الله تعالى مثقال ذرة، بل إليه تعالى تصرف شأن الخلق جميعا، لا راد لأمره ولا معقب لحمه.

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٣

٢ - رواه الطبري (٥/٢٥١)

وقال ابن عباس: وبعد هذا إليّ مصيركم فأكرم أوليائي وأعاقب أعدائي.[1]

١ - التفسير البسيط (١٠/ ١٨٠)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٤٥، ٤٦

لما بين الله تعالى للمؤمنين تدبيره المحكم في الجمع بينهم وبين عدوهم، وعدَّدَ عليهم نعمه في نصرهم وخذلان أعدائهم، بيَّنَ الله تعالى لهم هنا الأسباب الجالبة لنصر الله تعالى، ومناط الفوز والفلاح، وحذر الله تعالى من أسباب الفشل، ومغبة التنازع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾.

يأمر الله تعالى المؤمنين بالثبات لأعدائهم والصبر على مجالدتهم عند اللقاء، إلا إذا كانوا متحرفين لقتال أو متحيزين إلا فئة كما تقدم بيانه، والمراد بالفئة هنا الجماعة من المحاربين.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

ثم أمرهم الله تعالى حال ثباتهم بكثرة ذكر الله تعالى تثبيتًا لقلوبهم عند القتال واستحضارًا لموعود الله تعالى لهم بالنصر أو الشهادة، فإنه من المواطن التي يحصل فيها الذهول وتطيش فيها الألباب، فيسكن ذكر الله تعالى الجأش، ويربط على القلب، وتتحقق العبودية بالإخلاص لله والتجرد من حظوظ النفس، قَالَ قَتَادَةُ: افْتَرَضَ اللَّهُ ذِكْرَهُ أَشْغَلَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ عِنْدَ الضِّرَابِ وَالسُّيُوفِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وعدهم الله تعالى على ذلك بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة؛ فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ».[1]

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: الْجَنَّةُ تَحْتَ بَارِقَةِ السُّيُوفِ، حديث رقم: ٢٨١٨، ومسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، حديث رقم: ١٧٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ فَإِنْ أَجَلَبُوا أَوْ صَيَّحُوا فَعَلَيْكُمْ بِالصَّمْتِ».[1]

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

ثم أمرهم الله تعالى بطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم في ل أمر على وجه العموم، وفي الصبر على القتال وعدم الفرار وتنفيذ ما يوكل إليهم من مهام في القتال على وجه الخصوص.

﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

التنازع: شدة الاختلاف، وهو تفاعل من النزع، أي الأخذ، أي: يريد كل واحد أخذ ما بيد صاحبه، وقيل: التنازع: طلَبُ كلِّ واحدٍ من صاحبه أن يَنزِع عما هو عليه.

لما أمر الله تعالى المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، حذرهم من التنازع والاختلاف الذي يفضي إلى الفشل وهو الجبن عن ملاقاة العدو وضياع دولة الإسلام وتفرق شمل المسلمين.

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

تذييلٌ لبيان أثر الصبر على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والمعية هنا معية النصر والتوفيق.

---

١ - رواه الطبراني في الكبير- حديث رقم: ٤٨، والدعاء- حديث رقم: ١٠٧١، وعبد الرزاق-كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ كَيفَ يُصنَعُ بِالَّذِي يَغُلُّ، حديث رقم: ٩٥١٨، وابن أبي شيبة- كتاب السير، رفع الصوت في الحرب، حديث رقم: ٣٥٦٥٧، بسند ضعيف

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾؛ لأن الاختلاف الشديد يشبه التجاذب بين شخصين.

ومنها الكناية في قوله تعالى: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، أي: دولتكم وشوكتكم، والريح ها هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٤٧

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالثبات لأعدائهم، والإكثار من ذكره تعالى عند ملاقاة الكفار، وملازمة طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحذرهم الله تعالى من التنازع المفضي إلى الفشل، عطف هنا التحذير من التشبه بالشركين في البطر والكبر والرياء، فإنهم ما خرجوا إلا أشرًا وبطرًا، ورياءً وسمعة؛ وذلك أن المشركين حين خرجوا لاستنقاذ عير قريش ثم ساحل بها أبو سفيان فلما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره، أرسل إلى قريش أنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا، وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدا، فامضوا.[1]

فَوَرَدُوا بَدْرًا فَسُقُوا كُؤُوسَ الْمَنَايَا مَكَانَ الْخَمْرِ وَنَاحَتْ عَلَيْهِمُ النَّوَائِحُ مَكَانَ الْقَيْنَاتِ.

فحذر الله تعالى المؤمنين أن يسلكوا مسلكهم، أو يتشبهوا بهم في صلفهم، وغرورهم.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾.

البطر: إعجاب المرء بما هو فيه من النعمة مع ترك شكرها، والبطر في النعمة هو: أن تكثر عليه النعمة فيدْهشَ فيها، ولا يهتدي للشكر عليها، و (الرئاء) مصدر (راءى)، إظهار العمل للناس طلبًا للثناء حال الغفلة عن الله تعالى، أي: خرجوا بطرين مرائين، ووصف المشركين بذكر المصدر (بطرًا) و(رئاء) للمبالغة في تمكن الصفتين منهم، وبيان أن البطر والرياء خلقان ملازمان لهم.

---

١ - تفسير الطبري جامع البيان- ط: هجر (١١/ ٢١٨)

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي: خرجوا بطرين مرائين ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله.

﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

تهديد ووعيد لأولئك المشركين أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وأعمالهم وسيجازيهم عليها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٤٨

في الكلام حذف تقديره: واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم إذ زين الشيطان للمشركين أعمالهم الخبيثة ومنها الصد عن سبيل الله تعالى وَقالَ لهم لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ.

مازال الكلام في معرض تعداد نعم الله تعالى على المؤمنين ومنها: أن الله تعالى أبطل كيد الشيطان حين أراد أن يقوي عزائم أوليائه على حرب المؤمنين؛ وذلك أن المشركين حين أرادوا المسير إلى بدر خافوا من بني بكر بن كنانة، لأنهم كانوا قتلوا منهم واحدًا، فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم، فتصور لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو من بني بكر بن كنانة وكان من أشرافهم في جند من الشياطين، ومعه راية، وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم أي: مجيركم من بني كنانة، فلما رأى إبليس نزول الملائكة نكص على عقيبه.

وقيل: كانت يده في يد الحرث بن هشام، فلما نكص قال له الحرث: أتخذلنا في هذه الحال؟

فقال: إني أرى ما لا ترون! ودفع في صدر الحرث وانهزموا.

والمراد بالجار هنا المدافع عن صاحبه، كما يدفع الجار عن جاره.

﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾.

أي: فلما التقى الجمعان، ورأي إبليس المائكة تقاتل مع المؤمنين، رجع مدبرًا وفر هاربًا.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾.

أي: بريء مما أنتم عليه من الكفر والضلال، مبالغة منه في خذلانهم؛ كما في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.[1]

﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾.

رأى الملائكة تتنزل لنصرة المؤمنين.

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

كذب عدو الله بل علم أنه لا قوة له أمام ملائكة الله، وإنما قال ذلك تبكيتًا للمشركين، وإمعانا في ذلهم، وتلك عادته مع أوليائه.

١ - سورة الحشر: الآية/ ١٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٤٩

يقول الله تعالى ممتنا على المؤمنين بالنصر على أعدائهم على قلة عددهم، اذكروا أيها المؤمنون إذ يقول المنافقون من أهل المدينة بالتقاء الفريقين، وإذ يقول الذين في قلوبهم مرض وهم قوم أرادوا الإيمان وما زالوا يترددون وخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المؤمنين وكثرة المشركين قالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلاءِ﴾، أي: المؤمنين ﴿دِينُهُمْ﴾؛ يعني ما يعتقدونه من جزاء الشهداء عند ربهم، وأنهم سعوا في قتل أنفسهم من أجل ذلك، وأن من تمسك بهذ الدين صار عزيزًا وغلب القوي ولو كان في نفسه مستضعفًا.

ومرض القلب هو ما يعتريه من الشك والشبهات والشرك.

والغرور هو: الإيقاع في المضرة بإيهام المنفعة.

وقيل: الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، وإنما عطف الذي في قلوبهم مرض على المنافقين لتغاير صفات الفريقين، والذين في قلوبهم مرض أعم من المنافين؛ كما في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [الأعلى: الآيات ١ – ٤]، فالمتعاطفات شيء واحد عُطف بعضها على بعض نظراً لتغاير الصفات، وهذا الأسلوب معروف في كلام العرب، ومن شواهده العربية قول الشاعر:

إلى الملِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمَام ***** ولَيثِ الكَتِيبَةِ فِي الْمُزْدَحَم

فهو إنسان واحد، وذُكرت العطوف نظرًا لتغاير الصفات.[1]

﴿مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

---

١ – العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٥/ ١٠٥)

أي: ومن وثق بالله تعالى تمام الثقة، وفوض أمره إليه، أعزه الله تعالى ونصره إن الله تعالى عزيز لا يقهر، وحكيم لا يجعل من نصر دينه كم صد عن سبيله.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٥٠، ٥١

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى ما نزل بالمشركين من الهزيمة والقتل والذل والهوان والأسر بأيدي عباده المؤمنين على ضعفهم وقلة عددهم، ذكر الله تعالى هنا ما ينزل بهم من العذاب والنكال بأيدي الملائكة الكرام عند الاحتضار.

﴿وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ولو رأيت يا محمد حال الكفار عند قبض أرواحهم والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم لرأيت أمرًا مهولًا وشيئًا عظيمًا، وحذف جواب لو لتذهب النفس كل مذهب.

وتضربهم الملائكة عن الموت إهانةً وإذلالًا لهم على كفرهم لاستخراج أرواحهم من أبدانهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله: ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بالضرب.

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وفيه: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: "فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السُّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ".[1]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٨٥٣٤، بسند صحيح

وتخصيص الوجوه والأدبار بالضرب مبالغة في الإهانة والإذلال.

﴿وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ﴾.

أي: ويقولون لهم: ذوقوا عذاب الحريق.

﴿ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

أي: ذلك الذي نزل بكم من العذاب بسبب ما اقترفته أيديكم من الكفر والصد عن سبيل الله، وقبائح الآثام، وذكر اليدين وإن كان اعتقاد الكفر بالقلب؛ لأن وقوع الجنايات يكون باليدين في الغالب.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

أي: ولأنه تعالى قطع أعذارهم بأرسال الرسل وإنزال الكتب، والمبالغة في ظلام لمقابلة التكثير في لفظ العبيد.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٥٢، ٥٣

الدَّأب: هو الشَّأنُ وَالعادةُ، يقول تعالى شأن هؤلاء المشركين في الكفر والإعراض والتكذيب بآيات الله تعالى الدالة على وحدانيته وصدق رسله عليهم السلام؛ كشأن آل فرعون والذين من قبلهم ممن كذبوا الرسل وصدوا عن سبيل الله تعالى.

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

لما كان هذ شأنهم أعني الكفر والإعراض والتكذيب، جرت عليهم سنة الله التي لا تتخلف بالإهلاك جزاءً وفاقًا؛ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، فعاقبهم العقاب الشديد بسبب ذنوبهم ومنها الكفر بالله تعالى والصد عن سبيله.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

أي: لا يعجزه شيء، وذكر صفة القوة هنا للدلالة على قوة الأخذ، حتى لا يغتر بعقابه مغتر، وهو شديد العقاب لمن كفر بآياته وكذب رسله.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

أي: ذلك العقاب الذي أنزله الله تعالى بهم بسبب ذنوبهم التي اقترفوها فإن الله تعالى من تمام عدله أنه لا يغير نعمة أنعم به على قوم إلى نقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم بالكفران والجحود وترك الشكر؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْوَالٍ﴾ [الرَّعْدِ:١١]، وفي الكلام تعريض بمشركي قريش أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي: وتغيير تلك النعم إلى نقم، لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من حال عباده الذين قابلوا النعم بالكفران، فهو سميع لأقوالهم عليم بأحوالهم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٥٤

يخبر الله تعالى عن سنته تعالى في إهلاك المكذبين بآياته تعالى، الجاحدين لنعمه، المكذبين لرسله عليهم السلام، وليس في الكلام تكرير، بل الآية الأولى في أن سبب هلاك آل فرعون الذين من قبلهم إنما هو كفرهم بآيات الله تعالى، فكان جزاؤهم أن الله تعالى أهلكهم واستأصل شأفتهم، وذكر تعالى هنا تفصيل كفرهم فبين أنه تكذيب بآيات الله تعالى الشرعية التي جاءت به الرسل، وتكيب لآيات الله تعالى الكونية الدالة على وحدانيته وصدق رسله عليهم السلام.

ومن كفرهم بالله تعالى جحود نعم الله تعالى التي حباهم بها فسلبهم الله تعالى تلك النعم حين حجدوا شكرها، وبدلهم بها نقمًا عاينوها، ونكدا تكدرت به معايشهم.

وذكر في الآية الأولى أنه أخذهم بذنوبهم، وفصل تعالى هنا هذا الأخذ وذلك الإهلاك بقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾، فكان أهلاكهم بأعظم أسباب الحياة، وهو الماء لبيان كيف تنقلب النعم نقمًا مع الكفر والتكذيب.

وكذلك حال مشركي قريش أنعم الله تعالى عليه ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من الظلمات الكفر إلى نور الإسلام، فجحدوا رسالته وكذبوا بآيات الله المنزلة، فكان هلاكهم على يديه قتلا يوم بدر، فكان هلاكهم بأعظم أسباب النجاة لو أنهم شكروا نعمة الله عليهم وآمنوا بالله ورسوله وآياته.

﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

أي: وكل طائفة من الطائفتين آل فرعون من قبلهم، ومشركي قريش كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر بالله والتكذيب بآيته، ومعادة رسله عليهم السلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٥٥: ٥٧

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال مشركي قريش وكفرهم بالله تعالى وصدهم عن سبيله وتكذيبهم لرسوله صلى الله عليه وسلم، ذكر هنا حال أهل الكتاب حتى لا يغتر مغتر بما هم عليه، وما عندهم من الكتاب.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي: إن شر الخلائق منزلة عند الله تعالى الذين ألفوا الكفر من أهل الكتاب، وجحدوا وحدانية الله تعالى، وعبدوا غيره، وكتموا الحق، وصدوا عن سبيل الله تعالى، وكذبوا رسله عليهم السلام، لذلك لم يؤمنوا بما جاء به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

وإنما وصفهم الله تعالى بأنهم شر الدواب لأن كل الدواب هداها الله تعالى لما خلقه من أجله، وخالف أولئك فطرة الله التي فطرهم عليها، وخالفوا ما عندهم من العلم والآثار المنزلة عليهم، فكان ضلالهم أعظم، وحالهم أقبح.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.

عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قدومه المدينة معاهدة دفاع مشترك مع بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، فنقضوا عهدهم وحالفوا المشركين وحاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنهم لا يتقون الله تعالى ولا يخافونه فيما اقترفوه من الآثام ومنها نقض العهود، وقال: ﴿يَنْقُضُونَ﴾، بصيغة المضارع ولم يقل: نقضوا؛ للدلالة على أنه نقض العهد عندهم متجدد، ومتكرر، وأنه فيهم سجية وطبع ألفوه.

وعدي (عَاهَدْتَ) بـ (من) لتضمنه معنى الالتزام من جانبهم، يقال: أخذت منه عهدًا أي: التزامًا.

وقوله: ﴿فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ﴾؛ للدلالة على أن نقض العهد تكرر منهم مرة بعد مرة.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

دخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى اسم الشرط، وتقدير الكلام من عاهدت من هؤلاء الذين لا ذمة لهم ولا عهد إن تظفر بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم.

ومعنى: ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾؛ أي: تظفر بهم في قتال.

﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾.

أي: افعَل بهم فعلًا من القتل فعلا تُفرِّق به من خلفهم. والتشريد في اللغة: التبديد والتفريق.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

أي: لعلهم يحذرون أن ينقضوا عهدًا فيصنع بهم مثل ذلك.

الأساليب البلاغية:

التضمين في قوله: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾؛ حيث عدي (عَاهَدْتَ) بـ (من) لتضمنه معنى الالتزام من جانبهم، يقال: أخذت منه عهدًا أي: التزامًا.

والتضمين في قوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ﴾، دخلت الفاء لتضمن المبتدأ معنى اسم الشرط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٥٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال أهل الكتاب وما يتصفون به من نقض العهود، ذكر هنا الحكم فيمن غلب على ظن ولاة الأمر أنهم سنقضون العهد.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إن علمت من قوم معاهدين بقرائن الحال وأمارات ظاهرة خيانةً ونقضًا منهم للعهد الذي بينك وبينهم، فأعلمهم أنك قطعت العهد الذي بينك وبينهم، وطرحته إليهم، والنبذ الرمي ولا تبادرهم بالحرب وهم يتوهمون أنهم مازالوا على العهد الذين بينك وبينهم، حتى تكون أنت وهم في العلم بذلك سواء.

وعدي الفعل: (انبذ) بـ (إلى) لتضمينه معنى اردد، والمعنى: فاردد إليهم عهدهم.

وفي الكلام حذف اختصار لمفعول انبذ تقديره: انبذ إليهم عهدهم.

عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ قَالَ: كَانَ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَبَيْنَ الرُّومِ عَهْدٌ وَكَانَ يَسِيرُ نَحْوَ بِلَادِهِمْ حَتَّى إِذَا انْقَضَى الْعَهْدُ غَزَاهُمْ، فَجَاءَ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ أَوْ بِرْذَوْنٍ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَفَاءٌ لَا غَدَرَ، فَنَظَرُوا فَإِذَا عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَشُدُّ عُقْدَةً وَلَا يَحُلُّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ".[1]

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٩٤٣٦، وأبو داود- كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الْإِمَامِ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ عَهْدٌ فَيَسِيرُ، نَحْوَهُ، حديث رقم: ٢٧٥٩، بسند صحح

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾.

يعني: الناقضين للعهود.

وقد جمعت هذه الآية على وجازة ألفاظها وقلة مبانيها جملة من المعاني والأساليب البلاغية، مما لا يوجد له مثيل في كلام الفصحاء؛ قال القرطبي في تفسير هذه الآية: قال النحاس: (هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه).[1]

١ - الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٣٢)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٥٩

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى عن سنته في إهلاك المكذبين بآياته تعالى، الجاحدين لنعمه، المكذبين لرسله عليهم السلام بقوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾. [الْأَنْفَالِ: ٥٤]؛ بين سبحانه وتعالى هنا أن إمهاله لهم وعدم تعجيل العذاب لهم ليس لأنهم لا يعجزون الله تعالى، ولكن لأن الله تعالى جعل لهم أجلا مقدرًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.[1]

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾.

في هذه الآية قرآءتان متواترتان قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، والمعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أنهم فاتوا وأفلتوا من عقاب الله تعالى حين نجوا من القتل يوم بدر، وهذه الآية كقوله تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.[2]

وقرأ باقي القراء ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء، على أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون المعنى: لا تحسبن يا محمد أنهم أفلتوا من عقاب الله تعالى بنجاتهم من القتل، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يحسب أنهم يعجزون الله تعالى ولكن هذا من باب تنزيل المتيقِّن منزلةَ الشَّاك.

---

١ - سورة فاطر: الآية/ ٤٥

٢ - سورة العَنكبوتِ: الآية/ ٤

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

بكسر الهمزة على الابتداء، تذييل للتأكيد على أنهم في قبضة الله تعالى وتحت سلطانه، لا مهرب لهم منه.

وبفتح الهمزة تكون تعليلا؛ أي: لأنهم لَا يفوتون ولا يفلتون من عقابه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٦٠

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى بنبذ عهد من تخشى غائلته ويغلب على الظن غدره، أمر تعالى هنا بإعداد العدة لقتال أولئك الذين يتوقع منهم الغدر بالأخذ بأسباب القوة، والتهيؤ للقتال ليرهب أعداء الله المؤمنين، ويكفوا شرهم عنهم.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾.

الأمر بالإعداد عطف على قوله تعالى: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾، والمعنى: وأعدوا أيها المؤمنون لهؤلاء الذين تخشون منهم نقضًا للعهد، ونبذتم إليهم عهدهم أعدوا لهم ما استطعتم من أسباب القوة، وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي؛ فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ فَقَالَ: أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ».[1]

ورباط الخيل: أي: الخيل التي تربط في سبيل الله.

وخصَّ الرمي ورباط الخيل بالذكر لما للرمي من أثر ونكاية في الحرب، والخيل هي أصل الحروب والخير معقود بنواصيها وهي مراكب الفرسان، وهي المعهودة في زمن النبوة، والواجب الأخذ بأسباب القوة التي تناسب حال القتال في كل زمان.

﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.

أي: تخوفون به أعداء الله وأعداءكم ممن كفر بالله تعالى، وحارب دين الله وصد عن سبيله.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ، حديث رقم: ١٩١٧

﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

أي: وترهبون به آخرين من دون هؤلاء لا تظهر لكم عداوتهم، ولا تعلمونهم ولكن الله يعلمهم.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

أي: ومهما أنفقتم من شيء وإن قل في الجهاد وغيره من سبل الخير فإن الله تعلمه وسيجازيكم به يوم القيامة ولا يضيع شيء عند الله تعالى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٦١

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر تعالى بإعداد العدة لقتال من يتوقع منهم الغدر أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم هنا بمسالمة من مال منهم إلى السلم والموادعة، بأي صورة من صور المسالمة إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بالموادعة وترك الحرب.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

أصل الجنوح: الميل، يقال: جنحت السفينة إذا إذا مالت عن الطريق فلم تمض، وجنح الرجل إلى الشيء إذا مال إليه، وقيل للأضلاع: جوانح لميلها واعوجاجها.

وقال النابغة يصف طيورًا تتبع الجيش:

جـــوانح قـــد أيقـــن أن قبيلـــه ***** إذا مـــا التقـــى الجيشـــان أول غالـــب

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: وإن مال أولئك الذين غلب على ظنك غدرهم إن مالوا إلى الصلح وإلى مسالمتك وترك مقاتلتك فمل إليها، وسالمهم واترك قتالهم.

وإنما قال: ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾، لتأنيث لفظ: (السلم)، ويحتمل أن يكون أراد الفعلة.

وقال: ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾، والأصل أن يعدى بـ (إلى) لتضمنه معنى الرغبة في الصلح؛ أي: وإن مالوا لأجل السلم ورغبة فيه لا لغرض آخر.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

أي: وفوض أمرك لله، ليكفيك شرهم إذا أرادوا أن يخدعوك؛ فإن من توكل على الله كفاه.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

أي: إنه هو السميع لما يقولونه، العليم بما تكنه نفوسهم، لا يخفى عليه منهم شيء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٦٢، ٦٣

يبين الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن المشركين المعاهدين له قد يتخذون الهدنة وطلب السلام وسيلة للمخادعة والخيانة فأخبر سبحانه وتعالى أنهم إن أرادوا خداع نبيه صلى الله عليه وسلم، بطلب الصلح ليكف عنهم وفي نيتهم الغدر فإن الله تعالى يكفيه شرهم ومكرهم ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾؛ أي: فإن الله كافيك.

﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

تطمين لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتذكير له بنعم الله عليه، بنصره له وتأييده بالمؤمنين، وتقديم الضمير للاختصاص.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

أي: ومن نعم الله تعالى عليك أنه تعالى ألف بين قلوب المؤمنين بعد أن كانوا متنافرين متعادين متقاطعين، وكان بين الأوس والخزرج حروبًا في الجاهلية ومنها يوم بعاث، فجمع الله تعالى بين قلوبهم بالإسلام؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴾.[1]

﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

أي: لو أنفقت ما في الأرض من الذهب والفضة وسائر الأموال ما استطعت أن تؤلف بينهم لشدة العداوة، وتمكن البغضاء من قلوبهم، ولكن الله تعالى ألف بينهم بتطهير قلوبهم وشفائها من الأدواء وشرحها بالإسلام.

---

١ - سورة آلِ عِمرانَ: الآية/ ١٠٣

﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

إنه عزيز لا يرد قضاؤه ولا معقب لأمره، حكيم في تدبير أمر خلقه.

الأساليب البلاغية:

الإطناب في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾؛ للتذكير بتلك المنة العظيمة.

وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، لبيان أن القلوب التي فاضت بالعداوة، هي القلوب التي فاضت بالمحبة والألفة.

العدول عن الظاهر إلى المضمر في قوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾، لبيان أن الله تعالى ألف بينهم قلبًا وقالبًا بقدرته الباهرة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٦٤

يقول الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إن أراد المشركون أن يخدعوك فإن الله تعالى يكفيك ويكفي من اتبعك من المؤمنين، ولا يصح إلا هذا المعنى؛ فإن الله تعالى هو الكافي وحده تبارك وتعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾.[1]

وكما قال الله تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾. [التوبة: ٥٩]، فأمرهم أن يسندوا الكفاية إلى الله وحده، ولم يأمرهم أن يقولوا: حسبنا الله ورسوله.

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، وأخطأ من ظن أن المعنى: يا أيها النبي حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين، على أنَّ قوله تعالى: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في موضع نصب على المفعول معه، فإن الله تعالى هو الكافي وحده.

وتخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالكفاية تشريفًا لمقامه، ورفعة لشأنه عند الله تعالى.

وقيل المراد بالمؤمنين هنا: أهل غزوة بدر وهم المهاجرون والأنصار وعليه تكون (مِن) من قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بيانية، وقيل المراد الأنصار، وعليه تكون (مِن) تبعيضية، والراجح الأول.

---

١ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٦٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٦٥

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾.

التحريض الحث على الشيء، والحض عليه، وقيل: التحريض في اللغة أن تحث إنسانًا حثًا يعلم منه أنه حارض إن تخلف عنه، والحارض: الذي قد قارب الهلاك، والمعنى: يأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يحث المؤمنين على القتال حثًّا شديدًا.

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

هذا أمر من الله تعالى سيق مساق الخبر، أوجب الله تعالى فيه على المؤمنين أن يثبت الواحد منهم أمام عشرة من المشركين، ويحرم عليه الفرار منهم، فيكون المعنى: إن يكن منكم عشرون فليصبروا في القتال وليحتسبوا الأجر في دفع أعداء الله حتى يغلبوا مائتين، ومثال ورود الأمر بلفظ الخبر قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ﴾.[1]

وكان هذا يوم بدر، في أول الأمر بالقتال.

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾، أي: محتسبون يصبرون عند اللقاء، ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، والحكمة من ذكر هذين العددين: ﴿عِشْرُونَ﴾، و﴿مِائَةٌ﴾، أم السرايا في أول الأمر كانت قليلة العدد ما بين العشرين إلى المائة.

١ - سورة البَقَرة: الآية/ ٢٣٣

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

أي: إنما كان ذلك الأمر بالثبات على هذا النحو بأن الذين كفروا جهلة لا يفقهون ولا يعلمون ما يقاتلون لأجله، ولا ما يبذلون أرواحهم في سبيله بل هم كالبهائم العجماوات ولا ثبات لهم في القتال.

الأساليب البلاغية:

الاحتباك في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، حيث أثبت قيد من الجملة الأولى وحذف نظيره من الثانية، وأثبت قيد في الثانية وحذف نظيره من الأولى، قيد الغلبة بالصبر في الجملة الأولى لفظًا وحذفه من الثانية لدلالة ذكره في الأولى، وقيد الغلبة في الجملة الثانية بقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لفظًا وحذفه من الأولى.

التذييل بقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾؛ لبيان علة خورهم، وضعف عزائمهم، وعدم ثباتهم في القتال؛ وأنهم ليس عندهم ما يبذلون أرواحهم في سبيله.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٦٦

لما نزل أمر الله تعالى للمؤمنين بالثبات أمام المشركين وإن كانوا عشرة أضعاف المؤمنين وامتثل المؤمنين أمر الله تعالى على ما فيه من المشقة الزائدة، نسخ ذلك الحكم وخفف الله تعالى عن المؤمنين بقوله: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾، أي: ضعفًا في الواحد عن قتال العشرة، وفي المائة عن قتال الألف.

عن ابن عباس قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾، قال: كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له أن يفرّ منهم. فكانوا كذلك حتى أنزل الله: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾، فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين، فنسخ الأمر الأول.[1]

﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾.

أي: إن كان المسلمون على الشطر من عدوهم فلا يجوز لهم أن يفروا منهم.

﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

أي: بحكم الله تعالى وعلمه.

﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

تنبيه على أن الله تعالى إنما ينصر المؤمنين الصابرين إذا قاوم الواحد الاثنين صابرًا لهما ممتثلًا لأمر الله تعالى.

---

١ - تفسير الطبري (١٤: ٥٢)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٦٧: ٦٩

سبب نزول الآيات:

نزلت هذه الآية في أسارى بدر وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أبا بكر وعمر، فأشار أبو بكر رضي الله عنه بأخذ الفدية منهم، ولعل الله أن يهديهم للإسلام، وأشار عمر رضي الله عنه بقتلهم، ومال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رأى عمر فنزلت هذه الآية عتابًا لرسول الله صلى الله عليه سلم وأبي بكر ومن رأى رأيهم؛ فعن ابْن عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى [يعني يوم بدر] قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ (نَسِيبًا لِعُمَرَ) فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ (شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صلى الله عليه وسلم، وَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾.[1]

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾.

الأسرى: جمع أسير، وقيل له أسير لما يشد به من الإسار وَهُوَ القِد لِئَلَّا يُفلت، والقِدّ: سير يُقَدّ من جلد غير مدبوغ، وسمي كل أخيذ أَسِيرًا وَإِن لم يشد بِهِ.

الإثخَان: القَتْل، وَقيل: الْمُبَالغَة فِي التنكيل.

يعاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على أخذ الفدية من أسرى بدرٍ وعدم المبالغة في قتل أعداء الله تعالى في أول معركة بين أهل الإيمان والمشركين كسرًا لشوكة المشركين، وإذلالًا لهم.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾.

يعني: بأخذ الفداء، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾، أي: يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم لأعدائه، وإعلائكم لدينه، قال ابن عباس: يريد لكم الجنة.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أي: والله عزيز لا يغالب، حكيم في أمره ونهيه، وحكمه وتقديره.

﴿لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أي: لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ، أنه لا يعذب أهل بدر، لأصابكم فِيما أَخَذْتُمْ من الفداء عَذابٌ عَظِيمٌ، وتقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية: "لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ".[2]

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، حديث رقم: ١٧٦٣

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، حديث رقم: ١٧٦٣

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قيل أمسكوا عن الغنائم فنزلت هذه الآية؛ أي: فَكُلوا مِمَّا غَنِمتُم من الفدية فإنها من جملة الغنائم، ثم ذيل الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ ليزيل ما في أنفسهم من الوحشة بعد العتاب، بأنه تعالى قد غفر لهم ما فعلوه من أخذ الفدية، ورحمهم لإخلاصهم وصدق جهادهم، وحاجتهم لذلك الفداء.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾.

قيل: نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب وأصحابه، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت به ونشهد إنك لرسول الله لننصحن لك على قومنا، والراجح أنها عامة في جميع أسرى بدر؛ لأن ظاهر الآية يقتضي العموم، وأن ذلك كان دعوة لهم إلى توحيد الله تعالى ونبذ الشرك الذي كانوا عليه.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: يا محمد قل لأولئك الأسرى الذين في أيديكم، وقد أخذتم من الفداء: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾، يعني الإسلام لله تعالى ونبذ الشرك، يؤتكم الله تعالى من الأموال خيرًا مما أخذ منكم من الفداء، وروي أن أسرى بدر افتدوا بأربعين أوقية لكل واحد منهم، والأوقية أربعون درهما.

قال ابن عباس: كان العباس أسر يوم بدر، فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب، فقال العباس حين نزلت هذه الآية: "لقد أعطاني الله خصلتين ما أحب أن لي بهما الدنيا: إني أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية، فآتاني أربعين عبدًا وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله".[1]

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، ما اقترفتموه من الشرك بالله تعالى والصد عن سبيله، ومحاربة رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

١ - تفسير الطبري (١١/ ٢٨٦)

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي: والله عفور لذنوب العباد إذا تابوا إليه، رحيم بهم إذ أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾.

لأنهم كانوا قد أظهروا وقت أسرهم ميلًا للإسلام، ولعلهم عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك حربه، كما حدث من أبي عزة الجمحي الشاعر.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

أي: والله عليم بما يقولونه وبما يضمرونه، حكيم فيما شرعه تعالى وحكم به.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٧٢، ٧٣

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى أحكام الأنفال وقواعد الحرب والسلم ختم تلك القواعد والأحكام ببيان عقيدة الولاء والبراء وأقسام الناس في دين الله تعالى ليكون المؤمنون على بينة من أمرهم وليتبين لهم من الذين يستحقون الموالاة وما هي صفاتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

أي: إن الذين آمنوا بالله تعالى باعتقاد وحدانيته وأخلصوا له العبادة، وصدقوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وهجروا أوطانهم فرارًا بدينهم وبذلوا وسعهم في نصرة دين الله تعالى بأموالهم وأنفسهم في سبيل إعلاء دين الله تعالى، ومرضاة رب العالمين.

﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

والذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمهاجرين معه، فبذلوا لهم الدور للسكنى، والأموال للنفقة، ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونصروا المهاجرين بحمايتهم والذب عنهم، ونصروا دين الله تعالى بجهادهم لإعلاء رايته، أولئك والمهاجرون بعضهم أولياء بعض، هم جميعًا يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، وكان من مقتضيات تلك الولاية الميراث بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بِقَولِه تعالى: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.[1]

١ - سورة الأحزاب: الآية/ ٦

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾.

لما أخبر الله تعالى أن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا والذين آووا ونصروا بعضهم أولياء بعض وكان من مقتضيات تلك الموالاة التوارث بينهم، أخبر تعالى هنا أن الذين آمنوا، أخبر تعالى هنا أن الذين آمنوا ولم يهاجروا فليس لهم ما للسابقين من الولاية، فلا توارث بينهم ما داموا مقيمين بين ظهراني الكفار؛ قال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة والإسلام، وكان الرجل يسلم ولا يهاجر فلا يرث أخاه، وليس لهم من المغانم نصيب إلا ما حضروا فيه القتال.

﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾.

ثم قال تعالى: وإن استنصركم هؤلاء الأعراب الذين أقاموا في بلاد الكفار أو باديتهم ولم يهاجروا إن قصَدهم عدوٌّ من الكفار لقتالهم فطلبوا منكم النصرَ فانصروهم.

﴿إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾.

أي: إلا إذا كان بينكم وبين قومٍ من الكفار معاهدة، فيجب عليكم الوفاءُ بالعهد وتركُ قتالهم، ولا يَلزَمْكم نصرةُ هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا عليهم.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

أي: والله تعالى بصير بما تعملون مِن موالاة مَن يجب موالاتُه وتركِ موالاة مَن لا يجوز موالاته.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

لما أخبر الله تعالى أن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا والذين آووا ونصروا بعضهم أولياء بعض، بين تعالى هنا أنه لا تجوز موالاة الذين كفروا بحال من الأحوال، ويدخل في ذلك كل ما يترتب على الموالاة من الحب والنصرة والتشبه، والتوارث قبل أن ينسخ التوارث بالموالاة.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، يعني أنه لا يواليهم إلا من كان على شاكلتهم، وهو نهي عن موالاتهم في صيغة الخبر كقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ

مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣]، خبر قصد به تشنيع الزنا والتنفير ممن وقع فيه؛ وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٩٧]، هو خبر بمعنى الأمر تقديره: ومن دخله فأمنوه.

﴿إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

يعني: إذا لم يتول المؤمن المؤمنين وإن لم تكن بينهم صلة قرابة، ولم يتبرأ من الكفار أعداء الدين ولو كانوا أقرب الناس إليه نسبًا، وقع فسادٌ عظيم يؤدي إلى الفتنة والكفر، لأن من لوازم موالاة الكفار الرضى بما هم عليه من الكفر وإقراره، واستحسان ما هم فيه من الضلال، والتشبه بهم فيه، ومحبتهم مع ما يضمرونه لأهل الإسلام من العداوة والبغضاء.

ومن لوازم ذلك فساد اعتقاد المسلم الذي يفضي إلى سخط الله تعالى وعذابه؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾.[١]

١ - سورة النِّساءِ: الآية/ ١٤٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.
سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٧٤، ٧٥

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله تعالى حكم الذين آمنوا ولم يهاجروا وأخبر تعالى عن نقصان ولايتهم بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وذكر بعدهم تحريم موالاة الذين كفروا، بين تعالى هنا حال الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا وأنهم في أعلى المقامات وأشرفها، وأثنى عليهم ربهم تبارك وتعالى وزكاهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾؛ أي: أولئك الذين حققوا تلك الخصال هم الذين كمل إيمانهم، فهم المؤمنون إيمانًا حقًا أي صدقًا من غير ريب دون من آمن وأقام بين ظهراني الكفار.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

أي: لهم مغفرة عظيمة والمراد بها ستر الذنوب والسيئات بالعفو والصفح عنها، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾؛ أي: هنيء في الجنة ليس فيه تعب ولا نصب، ولا يلحقه نقص، ولا يدركه فناء، ولا تبعةَ له ولا منة، والكريم في اللغة هو المحمود، وتقديم الجار والمجرور في: (لهم) للاختصاص، والتنكير في قوله: ﴿مَغْفِرَةٌ﴾، للتفخيم والتعظيم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾.

أي: والذين آمنوا من بعد وهاجروا بعد السابقينَ إلى الهجرةِ الأولى، وجاهدوا معكم في مغازيكم ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾؛ أي: فأولئك من جملتكم أيها المهاجرون والأنصارُ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم.

﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

المرادُ بقولهِ: ﴿وَأُولُو الأَرْحَامِ﴾، جميع القرابات، وهذه الآية ناسخة للإرث بالحلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون به في أول الأمر، ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: في حكم الله تعالى في الميراث.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أي: لا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

تم تفسير سورة "الأنفال"، ولله الحمد والمنة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُورَةُ التَّوبَةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١

سورة التوبة مدنية وهي آخر سورة نزلت من القرآن؛ روى البخاري عَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه يَقُولُ: «آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ وَآخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ».[1]

أسماؤها:

لسورة التوبة عدة أسماء منها: براءة، والتوبة، والمقشقشة، والمبعثرة، والمشردة، والمخزية، والفاضحة، والمثيرة، والحافرة، والمنكلة، والمدمدمة، وسورة العذاب، والبَحوث، وأشهر أسمائها: التوبة وبراءة.

وعن سعيد بن جبير: قال: قلت لابن عباس سورة التوبة؟ فقال: بل هي الفاضحة ما زالت تقول: ومنهم ومنهم حتى ظنوا ألا يبقى أحد إلا ذكر فيها.

قال الزمخشري: لها عدة أسماء: براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب، لأنّ فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أى تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها ووتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم. وعن حذيفة رضى الله عنه: إنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحدًا إلا نالت منه.[2]

وقال ابن الجوزي: لها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة وهذان مشهوران بين الناس، والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة. والرابع: المقَشْقِشَة، قاله ابن عمر.

---

١ – رواه البخاري–كِتَابُ التَّفْسِيرِ، باب قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. حديث رقم: ٤٦٥٤

٢ – تفسير الكشاف (٢: ٢٤١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والخامس: سورة البَحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود. والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس. والسابع: المبعثِرة، لأنها بعثرت أخبار الناس وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد وابن إسحاق. والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة، والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزّجّاج.[1]

مقاصد السّورة إجمالاً:

أول مقاصد هذه السورة إعلان البراءَة من المشركين على اختلاف مللهم وتباين نحلهم ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]، نبذ عهود المشركين وإمهالهم أربعة أشهر لمن كان له عهد،﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢]، إجارة من أراد أن يعلم دين الله من المشركين وتمكينه من استماع القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ [التوبة: ٦]، قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في دين الله تعالى، ويصدون عن سبيله، ونقضوا عهدهم: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، ، النّهى عن موالاة المشركين ولو كانوا أقرب الناس: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾ [التوبة: ٢٣] ، بيان فضل الله تعالى على المؤمنين والاعتبار بما جرى يوم حنين: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥]، منع المشركين من عمارة المسجد الحرام حال كفرهم، وبيان علة ذلك: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، بيان حال أغلب الأحبار والرهبان في فساد معتقداتهم، وفساد أخلاقهم: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، بيان تلاعب المشركين بدين الله ومن ذلك الأشهر الحرم: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ

---

١ – زاد المسير في علم التفسير (٢: ٢٣٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ [التوبة: ٣٧]، الأمر بالجهاد ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، بيان حال المنافقين عند الخروج للجهاد: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، وبيان حالهم عند الإنفاق وقسمة الصدقات: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، وبيان حالهم في الولاء والبراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ولاءهم لمن هم على شاكلتهم، وأنهم لا يأمرون إلا بالمنكر، ولا يتناهون إلا عن المعروف، ويقبضون أيديهم فلا ينفقون ابتغاء وجه الله، وأنهم تركوا طاعة الله تعالى وأعرضوا عنه فتركهم الله تعالى وأعرض عنهم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[1]

ومن مقاصد السورة بيان حال المؤمنين المغاير لحال المنافقين في الولاء والبراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولزوم طاعة الله تعالى وما أعده الله تعالى لهم؛ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ....﴾ [التوبة: ٧١]، ومن ذلك بيان حال طائفة من المنافقين عاهدوا الله تعالى على البذل والإنفاق في سبيله إذا أغناهم الله من فضله فلما آتاهم الله من فضله بخلوا وأعرضوا عن الله تعالى؛ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥]، والنهي عن استغفار الله تعالى للمنافقين والنهي عن الصلاة عليهم؛ ﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٧٥]، وبيان حال المتخلفين عن الجهاد مع رسول الله تعالى مع استطاعتهم، والحلف بالله تعالى كذبا وزورًا على عجزهم عن الجهاد طلبا لمرضاة المؤمنين؛ ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، وبيان حال الأعراب عامة وحال الأعراب الذين حول المدينة خاصة وأنهم ينقسمون إلى قسمين مؤمنين صدقوا في إيمانهم، ومنافقين محاربين لله تعالى ولدينه ولرسوله صلى الله

---

١ - سورة التوبة: الآية/ ٦٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه وسلم؛ ﴿الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً وَأَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩٧]، وبيان حال من كان يحيك المؤامرات منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين والغاية التي من أجلها اتخذوا مسجدًا ضرارًا؛ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧]، بيان توبة الله تعالى على النبي والمؤمنين عامة وتوبة الله تعالى على الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك خاصة؛ ﴿لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨]، وبيان حال الناس من هذه الأمة عند نزول القرآن؛ ﴿وَإِذا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً﴾ [التوبة: ١٢٤]، ثم ختم الله تعالى السورة ببيان فضله على هذه الأمة وامتنانه عليها ببعثة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم؛ ﴿وَإِذا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِيماناً﴾.[1]

سبب نزول السورة:

قال المفسرون: أخذت العرب تنقض عهودًا بَنَتْها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره الله تعالى بالقاء عهودهم إليهم، فأنزل براءة في سنة تسع، فبعث رسول الله أبا بكر أميرًا على الموسم ليقيم للناس الحج في تلك السنة، فعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: " لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ كَانَ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه لِيُقِيمَ الْحَجَّ لِلنَّاسِ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ بَعَثْتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَقَالَ: " اخْرُجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمِنًى: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ

---

١ - سورة التوبة: الآية/ ١٢٨

صلى الله عليه وسلم عَهْدٌ فَهُوَ إِلَى مُدَّتِهِ " فَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَلَى نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْعَضْبَاءِ، حَتَّى أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بِالطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ؟ قَالَ: مَأْمُورٌ. ثُمَّ مَضَيَا رضي الله عنهما، فَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ الْحَجَّ وَالْعَرَبُ إِذْ ذَاكَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْحَجِّ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ، قَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالَّذِي أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عَهْدٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ، فَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَمْ يَطُفْ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. ثُمَّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَكَانَ هَذَا مِنْ بَرَاءَةَ فِيمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ الْعَامِّ وَأَهْلِ الْمُدَّةِ إِلَى الْأَجَلِ الْمُسَمَّى".

لم تبدأ هذه السورة بالبسملة كغيرها من سور القرآن لأنها نزلت بالعذاب للمنافقين والكفار، والبراءة من المشركين.

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

أي: هذا تبرؤ من الله ورسوله، وفي الكلام إيجاز بالحذف، وتقدير الكلام: (هذه الآيات براءة من الله ورسوله)، وعلى هذا تكون ﴿بَرَاءَةٌ﴾ خبرًا لمبتدأ محذف تقديره هذه الآيات، ويحتمل أن تكون ﴿بَرَاءَةٌ﴾ مبتدأ وخبره: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾. و(من) لابتداء الغاية متعلق بمحذوف تقديره واصلة؛ أي: هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم.

والتنوين في ﴿بَرَاءَةٌ﴾؛ للتفخيم، والتقييد بأنها من الله ورسوله للتهويل والتعظيم لشأنها.

﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قال المفسرون: هذه الآية لذوي العهود المطلقة غير المؤقتة، أو من له عهد دون أربعة أشهر، فيكمل له أربعة أشهر، فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته، مهما كان؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التَّوْبَةِ:٤]، وعَنْ زَيْدِ

بْنِ أُنَيْعٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلِيًّا بِأَيِّ شَيْءٍ بُعِثْتَ؟ قَالَ: " بِأَرْبَعٍ: لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَلَا يَجْتَمِعُ المسْلِمُونَ وَالمشْرِكُونَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَهْدٌ فَعَهْدُهُ إِلَى مُدَّتِهِ، وَمَنْ لَا مُدَّةَ لَهُ فَأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ".[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٥٩٤، والترمذي-أَبْوَابُ الحَجِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ الطَّوَافِ عُرْيَانًا، حديث رقم: ٨٧١، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٢

السياحة هي: السير في الأرض، أي: فسيروا حيثما شئتم من الأرض آمنين.

قال العلماء إنما كانت البراءة من الله ورسوله لمن كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقلَّ من أربعة أشهر، فأمْهِل بالسياحة أربعة أشهر ليذهب حيث شاء.

ومن لم يكن له أجل محدد جعلت له تلك المدة إيذنًا بانتهاء الأجل بعدها، والمراد بتلك الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.[1]

وقيل: هي أشهر التسيير وتبتدئ هذه الأشهر الأربعة من عاشر ذي الحجة من سنة تسع، وهو يوم النحر الذي بلغوا فيه بالبراءة، وتنتهي في عاشر ربيع الآخر من سنة عشر، وهو الأرجح، والمراد من كونها حرمًا، أن الله حرم قتال المشركين فيها.

ومن كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته، مهما كان؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.[2]

وقيل: أجل من ليس له عهد، من يوم النحر إلى انسلاخ شهر المحرم؛ قال ابن عباس: حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر، يسيحون في الأرض حيثما شاءوا، وأجل من ليس له عهد، انسلاخ الأشهر الحرم، من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، فذلك خمسون ليلة، فإذا انسلخ الأشهر الحرم أمره بأن يضع السيف فيمن لا عهد له.

وفي قوله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ﴾، بعد قوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾. [التوبة: ١]، إلتفات من الغيبة للخطاب؛ بتحقيق الإنذار المباشر بخطاب الله تعالى لهم.

---

١ – سورة التوبة: الآية/ ٥

٢ – سورة التَّوْبَةِ: الآية/ ٤

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾.

أي: واعلموا أنكم مهما ضربتم في الأرض فإنكم تحت سلطان الله تعالى وفي قبضته، وهو تهديد ووعيد لمن ارتضى بالكفر وأقام على الشرك، بعد قيام الحجة عليه.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾.

أي: واعلموا أن الله مُذلُّ الكافرين في الدنيا بأيدي أوليائه، وفي الآخرة بالعذاب الأليم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٣

الأذان: بمعنى الإيذان وهو الإعلام، يقال: آذنته بكذا؛ أي: أعلمته به، ومنه: الأذان بالصلاة، أي: إعلام بدخول وقتها.

أي: هذا إعلام من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله بريء منهم كذلك، والفرق بين هذا الموضع والموضع الأول من السورة أن الموضع الأول إخبار بثبوت البراءة من الذين لهم عهد من المشركين، وهذا الموضع إخبار بوجوب الإعلام للناس جميعًا مؤمنهم وكافرهم بما ثبت من تلك البراءة.

والمراد بيوم الحج الأكبر؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَفَ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: يَوْمُ النَّحْرِ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قَالُوا: هَذَا بَلَدُ اللَّهِ الْحَرَامُ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرُ اللَّهِ الْحَرَامُ، قَالَ: «هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، وَدِمَاؤُكُمْ، وَأَمْوَالُكُمْ، وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ هَذَا الْبَلَدِ فِي هَذَا الشَّهْرِ فِي هَذَا الْيَوْمِ» ثُمَّ قَالَ: «هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثُمَّ وَدَّعَ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ.[1]

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ، فِي مُؤَذِّنِينَ بَعَثَهُمْ يَوْمَ النَّحْرِ، يُؤَذِّنُونَ بِمِنًى: أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه

١ – رواه أبو داود– كِتَاب الْمَنَاسِكِ، بَابُ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، حديث رقم: ١٩٤٥، ابن ماجه– كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ الْخُطْبَةِ، يَوْمَ النَّحْرِ، حديث رقم: ٣٠٥٨، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلم بِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ فِي أَهْلِ مِنًى بِبَرَاءَةَ، وَأَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ».[1]

فَكَانَ حُمَيْدٌ يَقُولُ: يَوْمُ النَّحْرِ يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، مِنْ أَجْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.[2]

وقد ورد في تعيين يوم الحج الأكبر عدة أقوال، وإذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم تسمية يوم النحر بيوم الحج الأكبر فلا داعي لذكر ما خالفه من الأقوال، ويحمل خلاف من خالف على عدم بلوغه الحديث في ذلك.

وتسمية يوم النحر بيوم الحج الأكبر لأنه أفضل أيام المناسك وفيه أكثر أعمال الحج، وأظهرها وأكثرها جمعًا.

﴿فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

أي: فإن تبتم أيها المشركون من شرككم، ورجعتم عن كفركم فهو خير لكم في الدنيا بعصمة أنفسهم وأموالهم؛ لما ثبت في الصحيحين عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ».[3]

وخير لكم في الآخرة؛ لأن من مات مشركًا دخل النار؛ لما رواه الإمام أحمد عن عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَلِمَةً، وَقُلْتُ أُخْرَى،

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا يَسْتُرُ مِنَ الْعَوْرَةِ، حديث رقم: ٣٦٩، ومسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ لَا يَحُجُّ الْبَيْتَ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَبَيَانُ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، حديث رقم: ١٣٤٧

٢ - رواه البخاري- باب ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، حديث رقم: ٤٦٥٧

٣ - رواه البخاري-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابٌ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، حديث رقم: ٢٥، ومسلم-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، حديث رقم: ٢٢

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، دَخَلَ النَّارَ"، وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ وَهُوَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ.[1]

﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾.

أي: وإن أعرضتم وأبيتم إلا الشرك بالله تعالى فاعلموا أنكم لستم بمنأئ عن عذاب الله تعالى.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾.

تهكم واستهزاء بهم؛ فإن البشارة تكون بما يسر، فإذا كانت بالعذاب دل ذلك على السخرية والاستهزاء بهم، ومما يدل على التهكم كذلك الإلتفات من الخطاب للغيبة، لحقارتهم وهوانهم لتوليهم عن أمر الله تعالى، وقيل لها بشارة لأن أثرها يظهر على بشرة من تقال له، والعذاب الأليم، أي: المؤلم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٤

هذا استثناء من قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. [التوبة: ١]؛ أي: إلا الذين عاهدتم من المشركين، فلم ينقضوا عهدكم فليسوا داخلين في البراءة وهم بنو ضمرة، حي من كنانة، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بإتمام عهدهم إلى مدتهم؛ لأنهم لم ينقضوا العهد، وكان قد بقي من مدتهم تسعة أشهر.

قال محمد بن عَبَّادِ بنِ جعفرٍ ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. جذيمة بَكرٍ، كنانَةُ.

وقيلَ: هم مشركوا قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٤٠٤٣، بسند صحيح

قال قَتادةُ قولهُ: ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. قَالَ: هم مشركوا قريش الذين عاهدهم نبي الله زمن الحديبية وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر.[1]

﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾.

أي: لم ينقصوكم من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه شيئًا، إشارة إلى حرصهم على حفظ عهدكم، وشيئًا نكرة في سياق النفي للدلالة على نفي أدنى مخالفة للعهد، وقرأ عطاء بن يسار: لم ينقضوكم، بالضاد المعجمة من نقض العهد.

﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾.

أي: ولم يعاونوا عليكم أحدًا من عدوكم، والمظاهرة: المعاونة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤]؛ أي: تتعاونا على إيذائه.

﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾.

أي: لا تجروهم مجرى الناكثين، ولا تعاملوهم معاملة الغادرين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

تذييل لبيان علة الأمر بإتمام عهد من لم يغدر منهم وأن إتمام العهد لهم من تقوى الله تعالى، وهو أمر يحبه الله تعالى ويحب المتصفين به.

الأساليب البلاغية:

المقابلة بين لفظ: (تُبْتُمْ)، الذي يعني الدخول في الإسلام والبراءة من الشرك، ولفظ: (تَوَلَّيْتُمْ)، الذي معناه الإعراض عن الإسلام والرضى بالشرك.

الأسلوب التهكمي في قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فإن البشارة إنما تكون بما يسر، وذكرت البشارة هنا بالعذاب تهكمًا بهم وسخريةً منهم.

---

١ - تفسير الطبري جامع البيان- ط: هجر (١١/ ٣٤٢)، ورواه ابن أبي حاتم- حديث رقم: ٩٢٣٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٥

السلخ هو: إخراج الشيء عن جلده، وكل شَيء خرج من شَيء فقد انسلخَ منهُ، وانسلخ الشَّهرُ من سنتِه: انقضى، مضى.

يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾، يعني تلك الأشهر المذكورة في قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]، وهي أشهر التسيير وتبتدئ من عاشر ذي الحجة من سنة تسع، وهو يوم النحر الذي بلغوا فيه بالبراءة، وتنتهي في عاشر ربيع الآخر من سنة عشر، وسميت حرمًا لأنه حرُم قتلُهم فيها بالأمان الذي جعله الله تعالى لهم في هذه السورة.

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

أمر الله تعالى بقتل المشركين بعد انقضاء الأجل على الإطلاق، في أي وقت، وأي مكان.

﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

﴿وَخُذُوهُمْ﴾؛ أي بالأسر، والأخيذ الأسير، ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾؛ أي: وامنعوهم من الخروج من بلادهم، والحصر المنع، ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾؛ اقعدوا لهم على كل طريق يسلكونه، وقال الأخفش في الكلام محذوف والتقدير: اقعدوا لهم على كل مرصد.

﴿فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ﴾.

يعني فإن تابوا من الشرك، وآمنوا بالله تعالى ربا وبالإسلام دينًا وأقاموا الصلاة فإنها أعظم أركان الإسلام العملية، وآتوا الزكاة وهي دليل امتثال شعائر الدين،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ".[1]

﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾.

لأنهم صاروا إخوانًا لكم في الدين؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.[2]

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

غفور لمن تاب إليه وإن كان الذنب شركا به، ورحيم بعباده لذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب.

الأساليب البلاغية:

الاستعارة في قوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾، شبّه انقضاء الشّهر بالانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده.

والكناية في قوله: ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾، كناية عن الملازمة.

وفي قوله: ﴿فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، كناية عن الترك.

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابٌ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، حديث رقم: ٢٥، ومسلم-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، حديث رقم: ٢٢

٢ - سورة التوبة الآية/ ١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٦

لما أمر الله تعالى بقتل المشركين، وحصرهم في ديارهم، وترصدهم إذا انقضى أجل التسيير، أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجير من استجاره منهم حتى يسمع كلام الله تعالى، ويتعرف على دين الله تعالى حتى لا ظل أسير للشائعات التي كان يطلقها المشركون تنفيرًا للناس عن الإسلام، ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يؤمنه على حياته حتى يصل إلى ديار قومه حيث يأمن على نفسه.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾.

استجارك؛ أي: طلب الإجارة منك، والإجارة: هي الأمان؛ والمعنى: تُؤَمِّنَهُ من الأذَى.

في الكلام حذف لفعل الشرط تقديره: وإن اسْتَجَارَكَ أحدٌ من المشركين جاءك بعد انقضاء أشهر التسيير لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق، فطلب منك الأمان ليسمع ما تدعو إليه من الإسلام، وتبين له بعثت به فأمّنه حَتَّى يسمعَ كَلامَ اللَّهِ ويتدبره ويفهم المراد به ويطلع على حقيقة الأمر.

﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾.

أي: حتى يسمع ما أمر الله تعالى به من التوحيد والعبادة وكارم الأخلاق، وما نهى الله تعالى عنه من الكفر الشرك ومساوئ الأخلاق، وما أَعَدَّه اللَّه تعالى لأوليائه من الثواب وما أعده لأعدائه من العقاب.

ويطلق السمع ويراد به الفهم؛ تقول لمن تخاطبه سمعت؟ وأنت تريد: هل فهمت مرادي؟

وقوله: ﴿كَلامَ اللَّهِ﴾، من إضافة الصفة إلى الموصوف لا إضافة الخلق إلى الخالق.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾.

أي: ثم أَوْصِله إلى ديار قومه حيث يأمَنُ على نفسه إن لم يقبل الإسلام.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أي: أمر الله تعالى بذلك لأنهم لا يعلمون دين الله تعالى وتوحيده فهم محتاجون إلى سماع كلامه لتزول عنهم الشبه التي أثارها المشركون للصد عن سبيل الله، وفي الآية دليل على العذر بالجهل.

وهذه الآية محكمة يجب العمل بها إلى قيام الساعة بخلاف من قال بالنسخ، قال الحسن: وهذه الآية محكمة إلى يوم القيامة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٧

هذه الآية بيان لعلة البراءة من المشركين، وإمهال الله تعالى لهم مدة الأربعة أشهر، فقد يسأل سائل ما علة تلك البراءة وما سبب إنهاء تلك العهود؟ فجاء الرد على ذلك بهذه الآية وما بعدها، وهو ذلك البون الشاسع بين عقيدة المؤمنين بالله تعالى، والمشركين به المكذبين لرسوله صلى الله عليه وسلم، وسبق الغدر عند فريق أولئك المشركين، وإضمار الغدر عند فريق منهم، وإن يظهروا عليكم لم ينظروا في حلف ولا عهد.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾.

هذا سؤال معناه النفي، وهو ما يسميه البلاغيون الاستفهام الإنكاري؛ أي: لا ينبغي أن يكون لهؤلاء المشركين عهد وهم لكم ضدٌّ، وقد أضمروا الغدر.

﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

ثم استثنى الله تعالى قريشًا الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد عام الحديبية عشر سنين؛ قال ابن عباس وقتادة: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية؛ كما قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ الآية.[1]

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.

أي: فمهما أستقاموا لكم على الوفاء بعهد كم فأقيموا لهم على الوفاء بالعهد، وأتموا لهم العهد إلى مدته إلا أن يبدؤكم بالغدر.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

فإن الوفاء بالعهود من تقوى الله تعالى والله تعالى يحب المتقين الذين يوفون بالعهد.

---

١ - سورة الفتح: الآية/ ٢٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٨

أعيد الاستفهام الإنكاري لتأكيد النفي المتقدم ولتعداد العللِ الموجبةِ للبراءة من المشركين، ومنها أنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، عند الغلبة والظهور.

الظهور: الانتصار والغلبة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، يقول الله تعالى: كَيفَ يكون لَهُم عهد وإِنْ يَظفروا بكم ويغلِبوكم لَا يرقبوا فِيكُم إِلَّا وَلَا ذمَّة.

﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا وَلا ذِمَّةً﴾.

الرقوب: الانتصاب لمراعاة شيء؛ من ذلك الرقيب، أي: لا يُراعوا في شأنكم قرابة ولا عهدًا؛ قال ابن عباس: "الإلُّ": القرابة، "والذمَّة": العهد، وقيل: الإلُّ العهد، والذمة: كل حرمةٍ تلزمُك إذا ضيعتها المذمة.

﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾.

أي: يظهرون لكم الوفاء بألسنتهم، ويعدونكم الإيمان بأقوالهم، وهم يضمرون العداوة والبغضاء لكم ولدينكم.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

الفسوق: خروج الشَّيءِ من الشيءِ، يُقال: فَسَقت الرُّطبةُ: إذا خرجَتْ منِ قشْرتِها؛ ومنه قول الله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عن أمرِ رَبّه﴾ [الكهف: ٥٠]، خرج عن طاعته، واتباع أمره، وأكثر هؤلاء المشركين خارجون عمَّا كان يفتخر به العرب من حفظ العهد والجوار، ومراعاة القرابة والذمام، وقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾، من الإنصاف معهم فليسوا سواءً في الوفاء بالعهود.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلا وَلا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٩- ١١

يخبر الله تعالى أن من العللِ الموجبةِ للبراءة من المشركين أنهم آثروا الحياة الدنيا وما فيها من الملذات والشهوات، على ما أمروا من اتباعه من دين الإسلام، وقال: ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾. ولم يقل بالإسلام أو بالقرآن للدلالة على أن ما أمروا به واضح الدلالة لا يخفى على أحد، بل آيات الله البينات أظهر من الشمس في رابعة النهار، وزينوا ذلك لعوام الناس فصدوهم بذلك عن سبيل الله تعالى، تارة بتزيين الباطل، وتارة بذم الحق وتشويه صورته وصورة أتباعه، وتارة بمنع الناس من اتباعه بالقوة.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

أي: ساء عملهم الذي كانوا يعملون من اشترائهم بآيات الله ثمنًا قليلًا، وصدهم عن سبيل الله، ولما كان صدهم عن سبيل الله واشتراؤهم الكفر بالإيمان مشتملًا على أقوال وأفعال قال تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فإن العمل مشتمل على القول والفعل.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلا وَلا ذِمَّةً﴾.

ومن العللِ الموجبةِ للبراءة من المشركين كذلك أن عداءهم لدين الله تعالى، فقد يتوهم متوهم أن عداء المشركين كان خاصًّا بأولئك النفر الذين خرجوا عن سلطان قومهم بمكة، وأولئك الذين ناصروهم من أهل المدينة، فبين الله تعالى هنا أن عداءهم لأهل الإيمان عامة، وليس في الكلام تكرارًا فإن الآية الأولى خاصة وهذه عامة.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

أي: وأولئك المتصفون بتلك الأوصاف الذميمة هم المتجاوزون للحد في الظلم والطغيان، وتقديم الضمير هنا للتخصيص؛ أي: إن كان هناك معتدون فهم هؤلاء.

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

أي: فإن تابوا عن الكفر والتزموا أحكام الإسلام فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم، عليهم ما عليكم.

﴿وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

أي: ونبين الآيات ونوضحها لقوم يعلمون؛ لأنه لا ينتفع بهذا البيان إلا من كان من أهل العلم الصحيح والفهم السديد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٢

النكث هو النقض، نكَثَ العهد يَنكُثُه نَكْثًا، أي: نقضه بعد إحكامه، والأيمان هي العهود.

يقول الله تعالى: وإن نقض هؤلاء المشركون من قريش عهودهم ومواثيقهم من بعد ما عاهدتموهم ﴿وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾، أي: قدحوا في دينكم وعابوه وانتقصوا نبيكم صلى الله عليه وسلم، فإن الطعن فيه صلى الله عليه وسلم طعن في دين الله تعالى.

واستدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل من طعن في دين الله، أو سب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال ابن المنذر: أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم عليه القتل.

﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾.

أئمة جمع إمام وهو كل من يقتدى به ويتبع في خير أو شر؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال عن الكفار: ﴿وَجَعَلْنَاهُم أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١]

﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾.

أي: لا عهود لهم صادقة، ولا وفاء، على قراءة الجمهور بفتح همزة ﴿أَيْمَانَ﴾، وقرأ ابن عامر: ﴿إِنَّهُمْ لَا إِيْمَانَ لَهُمْ﴾، بالكسر وفيها وجهان: أحدهما: أن علة قتالهم اتصافهم بالكفر ونفي الإيمان، والثاني: أنه لا أمان لهم، تقول: آمنته إيمانًا، فكان نقضهم للعهد علة قتلهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾.

أي: لعلهم ينتهون عن الطعن في دينكم، ومظاهرة أعدائكم عليكم، وقيل: لعلهم ينتهون عن الكفر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٣- ١٥

لما بين الله تعالى العللَ الموجبةَ للبراءةِ من المشركين بيَّنَ الله تعالى هنا العلل الموجبة لقتالهم فقال تعالى مخاطبًا المؤمنين وحاضًّا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين وهم كفَّار مكَّة: ألا تقاتلون قومًا نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم، وأعانوا بني بكر على خزاعة، وطعنوا في دينكم، وظاهروا عليكم أعداءكم من اليهود وغيرهم، وقبل ذلك هموا بإخراج الرسول من بين أظهرهم، وعزموا على قتله حتى اضطروه إلى الخروج من بلده مكرهًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ...﴾.[1]

﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ﴾.

أي: وهم بدءوكم بالقتال أول مرة في بدر، فرد الله تعالى كيدهم في نحورهم، وكسر شوكتهم.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أتخشون هؤلاء المشركين على أنفسكم أن يصيبكم منهم مكروه، فالله تعالى أحق أن تخشوه إن خالفتم أمره، بترك قتال أعدائه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، إن كنتم آمنتم بالله تعالى ربًّا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولًا، وأيقنتم بثوابه الذي أعده الله تعالى لمن أطاعه، وعقابه الذي أعده الله تعالى لمن خالف أمره.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

---

١ - سورة الأنفال: الآية/ ٣٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم قال تعالى آمرًا المؤمنين أمرًا جازمًا بقتال المشركين ومبينًا الحكمة من قتالهم: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، يعني: بما تحدثونه فيهم من القتل والجراح، ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾، بالأسر والاسترقاق، وسلب أموالهم بالغنائم، ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، كما نصركم عليهم من قبل في مواطن كثيرة.

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

يعني: خزاعة، يشف صدورهم مما فعله المشركون لما نقضوا عهدهم ويذهب غيظ قلوبهم لما قتلوهم ركعًا وسجدًا.

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾.

ويتوب الله تعالى على من يشاء من عباده بالجهاد في سبيله تعالى لإعلاء دينه.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

والله عليم بخلقه وأن منهم من لا يردعه إلا السيف، ولا يمنعه عن الظلم إلا القوة، حكيم في أحكامه وتشريعاته.

الأساليب البلاغية:

الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾، للمبالغة في التحريض على القتال.

ذكر الخاص بعد العام في قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾؛ فإن القلب أخص من الصدر.

وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾؛ لما للفظ الجلالة من المهابة في القلوب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٦

لما أوجب الله تعالى على المؤمنين قتال المشركين الناقضين للعهد معهم بقوله: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ.....﴾ [التوبة: ١٦]، بين الله تعالى لهم هنا حكمة أخرى من تشريع هذا الجهاد، وهي اختبار المؤمنين وتمحيصهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾.

﴿أَمْ﴾ هنا هي المنقطعة لإفادة الإضراب عن غرض من الكلام للانتقال إلى غرض آخر، ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على ذلك الظن الذي وجد منهم؛ والمعنى: هل ظننتم أيها المؤمنون أنكم ستتركون بلا امتحان يتبين لكم به الصدق الإيمان من الكاذب، والمجاهد في سبيل الله من غيره، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آلِ عمران: ١٤٢]، وكقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.[١]

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾.

أي: ولما يعلم الله تعالى علمًا منكشفًا لكم يحاسبكم عليه، وإلا فالله تعالى لا يعزب عن علمه شيء، فالمراد من العلم هاهنا: العلم الذي يقع الجزاء عليه، وهو العلم بعد الوجود لاعلم الغيب الذي لا يقع الجزاء عليه.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾.

قال أبو عبيدة: كل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة. وقال ابن قتيبة: هي البطانة من غير المسلمين.

---

١ - سورة العنكبوت: الآية/ ٢

وأصله من الولوج فالوليجة فعيلة من ولج؛ والمعني: أظننتم أن تتركوا ولم يتبين لكم المجاهدين الذين ليس للكفار في قلوبهم مودة ولا يتخذونهم بطانة من دون المؤمنين.

﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

تذييل لبيان أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من حال العباد، لا من أقوالهم ولا من أفعالهم ولا من اعتقادهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٧

هذه الآية مرتبطة بما قبلها من البراءة من المشركين وبيان مخازيهم من الشرك، والطعن في دين الله تعالى، والصد عن سبيله، وبيَّن تعالى حال المشركين في عمارة مساجد الله تعالى، وأن ذلك لا ينفعهم عند الله تعالى بل يجب على المؤمنين منعهم من البيت الحرام حال شركهم، كما سيأتي قريبًا، وأتت هذه الآيات توطئة لهذا المنع.

﴿مَا كانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدِينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾.

يقول الله تعالى مخاطبًا المؤمنين يأمرهم بمنع المشركين من عمارة مساجد الله: ما ينبغي لأؤلئك المشركين أن يعمروا مساجد الله وهم يقرون بالكفر ويشهدون على أنفسهم به، كما حكى الله تعالى عنهم أنهم كانوا يقولون عن أوثانهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وكانوا يقولون ذلك في تلبيتهم؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَيْلَكُمْ قَدْ قَدْ فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ يَقُولُونَ هَذَا، وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ».[١]

﴿أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ﴾.

فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا.

﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ﴾.

بسبب شركهم بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.[٢]

---

١ – رواه مسلم– كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ التَّلْبِيَةِ وَصِفَتِهَا وَوَقْتِهَا، حديث رقم: ١١٨٥

٢ – سورة المائدة: الآية/ ٧٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ١٨

لما ذكر الله تعالى صفات المشركين القبيحة، وخصالهم الشنيعة وأنهم ليسوا أهلا لعمارة مساجد الله تعالى، ذكر الله تعالى هنا أولى الناس بعمارتها فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾؛ أي: إنما يستحق شرف عمارة مساجد الله من آمن بالله تعالى فلم يشرك به شيئًا، ولم يذكر الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لدخوله في الإيمان بالله، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾؛ لأنها الغاية من بناء المساجد، وهي أعظم الأركان العملية، ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾؛ لأنها قرينة الصلاة، ودليل الإيمان؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: " والصدقة برهان"، ولأنها أعظم العبادات التي يتعدى نفعها للعباد، ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾، المراد بالخشية هنا التي تحول بين العبد وبين محارم الله تعالى، وليس المراد بذلك الخوف الجبلي؛ فإن ذلك أمرًا لا يؤاخذ عليه العبد ولا يعاب بذلك؛ فإن العبد يخاف الضواري من الحيوان ويخاف الظلمة الطغاة، ولا يلام بذلك.

ويدخل في عمارة المساجد بناؤها وتنظيفها وفرشها وترميمها، وذكر الله فيها والصلاة وتدريس العلم.

قال صاحب فتح البيان: واقتصر على ذكر الصلاة والزكاة والخشية تنبيهًا بما هو أعظم أمور الدين على ما عداه مما افترضه الله على عباده لأن كل ذلك من لوازم الإيمان.[١]

﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾

يعني أولئك المنعوتين بتلك النعوت المذكورة عسى أن يكونوا من المهتدين، وذكر الاهتداء هنا لمن هذه صفاتهم لقطع أطماع المشركين في الاهتداء وهم على شركهم وصدهم عن سبيل الله وطعنهم في دين الله تعالى، فقد كانوا على ضلالهم وكفرهم يحسبون أنهم مهتدون.

وعسى من الله واجبة؛ وقال ابن عباس: كل عسى في القرآن فهي واجبة.

---

١ – فتح البيان في مقاصد القرآن (٥: ٢٥٥)

وقيل: الرجاء راجع إلى العباد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.
سورة التوبة: الآية/ ١٩، ٢٠

روي في سبب نزول هذه الآية عدة آثار منها ما رواه مسلمٌ عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ. وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لَا أَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ. فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا».[١]

وهذا الحديث الحديث لا يصلح أن يكون سببًا لنزول الآية فإن الله تبارك وتعالى جعل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام في مقابل الإيمان بالله تعالى والجهاد في سبيله، والذين تكلموا بذلك من المؤمنين، فيلزم من هذا أن تكون الآية نزلت قبل ذلك فلما تكلموا بين لهم النبي صلى الله عليه وسلم الحكم من الآية، وقد يقال سبب النزول كذا ويراد به أنه الجواب عن الواقعة لا أنه السبب لنزول الآية.

ومما ورد في سبب نزول الآية ما رواه الطبري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، في قَوله تعالى: "﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حِينَ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ: لَئِنْ كُنْتُمْ سَبَقْتُمُونَا بِالْإِسْلَامِ وَالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، لَقَدْ كُنَّا نَعْمُرُ

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، حديث رقم: ١٨٧٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَنَسْقِي الْحَاجَّ، وَنَفُكُّ الْعَانِيَ، قَالَ اللَّهُ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الظَّالِمِينَ﴾ يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الشِّرْكِ، وَلَا أَقْبَلُ مَا كَانَ فِي الشِّرْكِ".[1]

وهذا الأثر لا يصلح أن يكون سببًا لنزول الآية كذلك فإن نزول الآية متأخرٌ وهذا الكلام من العباس كان يوم بدرٍ ولم يكن مسلمًا، وقوله: "لَئِنْ كُنْتُمْ سَبَقْتُمُونَا بِالْإِسْلَامِ وَالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ"، لا يتصور إلا من مسلم، والراجح أن الآية ذكرت في سياق دحض مزاعم المشركين التي كانوا يتشدقون بها ويتوهمونها فيما بينهم وأنهم على دينٍ وأنهم يكفيهم ما يقومون به من سدنة البيت وسقاية الحاج، وكانوا يسمون أنفسهم الحمس ويرون أنهم أعلى رتبة من الناس لما كانوا عليه من الدين بزعمهم؛ عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: "كَانَتْ قُرَيْشٌ تَقُولُ: إِنَّمَا نَحْنُ الْحُمْسُ أَهْلُ الْحَرَمِ، لَا نُخَلِّفُ الْحَرَمَ وَالْمُزْدَلِفَةَ فَأُمِرُوا أَنْ يَبْلُغُوا عَرَفَاتٍ".

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الْحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ، أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا، ثُمَّ يُفِيضَ مِنْهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾».[2]

فلما توهموا أن ما هم عليه من السقاية والحجابة وعمارة البيت يغني عن الإيمان بالله تعالى والجهاد في سبيله رد الله تعالى عليه ذلك التوهم وأبطل ذلك الزعم بهذه الآية.

وأما ما ورد عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ، وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩] ، قَالَ: " لَمَّا أُمِرُوا بِالْهِجْرَةِ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: أَنَا أَسْقِي الْحَاجَّ، وَقَالَ طَلْحَةُ أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ: أَنَا أَحْجُبُ الْكَعْبَةَ فَلَا أُهَاجِرُ، فَنَزَلَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [التوبة: ٢٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤] ".

---

١ - تفسير الطبري (١١: ٣٧٨)

٢ - رواه البخاري- حديث رقم: ، ومسلم- حديث رقم:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فنقول: العباس وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما أسلما يوم الفتح، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْفَتْحِ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا».[1]

يقول الله تعالى لهؤلاء المشركين الذين ظنوا أن سقاية الحجيج وسدنة البيت وعمارة المسجد الحرام على شركهم تعدل الإيمان بالله تعالى، والجهاد في سبيله، يقول تعالى لهم موبخًا ودافعًا لذلك التوهم: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، أي: أجعلتم تلك الأعمال التي تعملونها من السقاية والسدانة حال كفركم تجعلكم عند الله تعالى كالذين آمنوا بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وجاهدوا في سبيل الله تعالى لنصرة دينه تعالى؟

﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

لأنه لا يستوي الإيمان والكفر، كما لا تستوي الظلمات والنور، ولا الظل والحرور؛ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "ثَلَاثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ، لَا يَجْعَلُ اللهُ عز وجل مَنْ لَهُ سَهْمٌ فِي الْإِسْلَامِ كَمَنْ لَا سَهْمَ لَهُ....."."[2]

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

المراد بالظلم هنا الكفر، وإذا آثروا الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى فهم أبعد الناس عن الهدى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[3]

---

١ – رواه البخاري– كتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، حديث رقم: ٢٧٨٣، ومسلم–كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْمُبَايَعَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ وَالْخَيْرِ وَبَيَانِ مَعْنَى لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، حديث رقم: ١٨٦٤

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٥١٢١، بسند حسن

٣ – سورة الرعد: الآية/ ١١

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي: من الذين افتخروا بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وأعظم هنا ليست على بابها في التفضيل، فإن أعمال الكفار لا وزن لها.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

برضوان الله والجنة يوم القيامة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٢١، ٢٢

لما أثنى الله تعالى على الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ذكر الله تعالى ما لهم عند الله تعالى من الفضل والكرامة فقال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾، فبدأ بأعلى المنازل وأسماها فنسبهم إليه نسبة تشريف فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ﴾، وهي أعلى منازل التشريف والتكريم، وأخبر أن البشارة منه تعالى، وهي كرامة بعد الكرامة الأولى، وذكر البشارة بصيغة المضارع ليدل ذلك على تجددها واستمرارها، ثم أخبر أن البشارة برحمة منه تعالى، وهي كرامة أخرى هي أعلى منزلة من الجنة؛ لأن الرحمة صفة الله تعالى، ثم أخبر تعالى أنه اختصهم بتلك الرحمة فقال: ﴿بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾، ثم ثنى البشارة بالرحمة بالبشارة بالرضوان فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، والرضوان مبالغة من الرضى، والمراد به الرضى الكامل.

والتنكير عند ذكر الرحمة والرضوان للتفخيم والتعظيم.

﴿وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾.

ثم بشرهم الله تعالى بعد الرحمة والرضوان بجنات لهم فيها نعيم دائم لا يفنى ولا يبيد، فلا يزول عنهم ولا يتحولون عنه، والنعيم هو العيش اللين الرغيد، وضده البؤس والشقاء.

وأخبر الله تعالى أنها جنات وليست جنة واحدة؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم حارثة؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ قَالَ: يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى».[١]

١ - رواه البخاري- كتَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ، حديث رقم: ٢٨٠٩

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

أكد الخلودَ بالتأبيدِ؛ لأنّ الخلود قد يستعمل للمكثِ الطويل.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

تذييل لبيان فضل الله تعالى على عباده فإن الأجر هو: العوض المعطى على عمل، وأعمال العباد قاصرة ومع ذلك ارتضاها الله تعالى، وأعطى عليها الجزيل من الأجر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٢٣

قلنا إن من مقاصد هذه السورة بيان حال المؤمنين المغاير لحال المنافقين في الولاء والبراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولزوم طاعة الله تعالى، ولما أمر الله تعالى المؤمنين بالبراءة من عامة المشركين ونبذ العهود إليهم، أمر الله تعالى هنا بالبراءة الخاصة من ذوي القربي من المشركين، ففي الكلام تخصيص بعد التعميم، حتى لا يتوهم متوهم أن أولي القربى غير داخلين في البراءة العامة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾.

يأمر الله تعالى المؤمنين بالبراءة من المشركين ولو كانوا أقرب الناس، وترك موالاتهم إن استحبوا الكفر على الإيمان، ولفظ: (استحبوا) فيه زيادة في المبنى تدل على زيادة المعنى فيكون المراد: لا تتخذوهم أولياء لاسيما وهم يبالغون في محبة الكفر وإيثاره على الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ.....﴾. الآية.[1]

وذكر الآباء والإخوان هنا لأنهم أهل الرأي والمشورة، وإليهم يرجع المرء في الملمات، ولم يذكر الأبناء لأنهم في الغالب تبع لآبائهم.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

أي: بعد ورود النهي عن موالاة أعداء الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؛ لأنهم تعدوا حدود الله.

---

١ - سورة المجادلة: الآية/ ٢٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٢٤

لما نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة أعدائه قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمن خالف أمر الله تعالى بالبراءة من المشركين ووالاهم وهم على كفرهم بالله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾، وهم أقرب الناس، وذكر الأَبناء والأزواج في هذه الآية دون التي قَبْلَها؛ لأن الكلام في معرض ذكر المحبوبات، والأبناء والأزواج صَدْرٌ في المحبة، ولم يذكروا في الآية السابقة لأنهم ليسوا من أهل الرأي والمشورة غالبًا، ولا يرجع المرء إليهم في الملمات.

﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾.

العشيرة أصغر من القبيلة، وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأقربون، وأصلها من العِشْرَةِ، وقيل: أصلها من العَشَرَةِ أي: أقرباؤكم هي الجماعة التي ترجع إلى عقد واحد كعقد العشرة، وذكرها بعد الآباء والأبناء والإخوان من باب ذكر العام بعد الخاص.

﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾.

أي: وأموال اكتسبتموها؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣]؛ أي: يكتسب

﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾.

أي: تخشون كسادها بالبراءة من الأهل ومفارقة الأوطان.

﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾.

أي: ترضون الإقامة بها إيثارًا للراحة والدعة.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.

أي: إن كان ما ذُكر أحبَّ إليكم من الله ورسوله والجهاد في سبيله تعالى لنصرة دينه فانتظروا حتى يأتي الله بعقوبة عاجلة أو آجلة لمن هذا شأنه، فإن من آثر هواه على رضى الرحمن فلا ينتظر إلا الذل والهوان.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

فإن تعمد مخالفة أمر الله تعالى فسق والفاسق أبعد الناس عن الهدى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٢٥، ٢٦

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى المؤمنين بقتال المشركين بقوله: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ذكَّرهم الله تعالى بنعمه وعدَّدَها عليهم، ليبين لهم أن تأييده ونصره تعالى مقترن بامتثال أمره واجتناب نهيه.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾.

يقول تعالى للمؤمنين ممتنًّا عليهم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾؛ أي: نصركم الله تعالى على قلة عددكم، وضعف قوتكم، ﴿فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾، مَوَاطِن: جمع مَوطِن بكسر الطاء، والْمَوطِنُ مكان النزول والإقامة، والمواطن المشار إليها هي: بدر وقينقاع والخندق والنضير وقريظة وفتح مكة.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾.

أي: واذكروا يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم حتّى قلتم: لن نُغلبَ اليومَ من قلةٍ، فلم تغن عنكم كثرتكم شيئًا لتعلموا أن النصر ليس بكثر الأعَدَادِ، ولا بقوة العتادِ.

وكانت غزوة: "حنين" بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة وسببها أن هوازن وثقيف، وبنو جشم وبنو سعد بن بكر، وناس من بني هلال، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، جمعوا ليقاتلوا المؤمنين، وكان أميرهم مالك بن عوف النضري، فأقبلوا معهم النساء والولدان والشاء والنعم، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيشه الذي جاء معه لفتح مكة، وكانوا عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، وخرج معه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطلقاء في ألفين، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين

مكة والطائف يقال له "حنين"، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح، فانحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن، فلم يشعر المسلمون إلا وقد دخلوا في مكمن القوم وهم يرشقونهم بالنبال، وحملوا عليهم حملة رجل واحد فخرجوا عليهم بالسيوف، كما أمرهم ملكهم. فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين، كما قال الله تعالى، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، ومعه عشرة من أصحابه منهم عمه العباس بن عبد المطلب آخذ بركاب البغلة الأيمن، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابها الأيسر، يثقلانها لئلا تسرع السير، وهو يقول: أين يا عباد الله؟ إليَّ أنا رسول الله. ويقول: أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

ثم رجع معه من أصحابه قريب من مائة، ثم أمر صلى الله عليه وسلم عمه العباس كان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة يعني شجرة بيعة الرضوان، وكانوا بايعوه تحتها على ألا يفروا عنه، وجعل ينادي: يا أصحاب سورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك، يا لبيك، وانعطف الناس فجعلوا يتراجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع، لبس درعه، ثم انحدر عنه، وأرسله، ورجع بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رجعت جماعة منهم، أمرهم أن يصدقوا الحملة، وأخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال: "اللهم أنجز لي ما وعدتني" ثم رمى القوم بها، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال، ثم انهزموا، فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون، وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مجدلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عَنْ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ. فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فَلَمْ نُفَارِقْهُ. وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ، بَيْضَاءَ. أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ. فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ، وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ. فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يركض على بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ. قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى

الله عليه وسلم. أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ. وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَيْ عَبَّاسُ! نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ). فَقَالَ عَبَّاسٌ (وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا): فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ! لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ، حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي، عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا. فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ! يَا لَبَّيْكَ! قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ. وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ. يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ. فقالوا: يا نبي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ! يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ! فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ، كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا، إِلَى قِتَالِهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ). قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ. ثُمَّ قَالَ (انْهَزَمُوا. وَرَبِّ مُحَمَّدٍ!) قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى. قَالَ: فَوَاللَّهِ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ. فَمَا زلت أرى حدهم كليلًا وأمرهم مدبرًا.[1]

قوله تعالى: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾.

الرُحبُ: السعة، يقال: فلان رحب الصدر؛ أي: واسع الصدر، ودار رحبة؛ أي: واسعة ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ الباء بمعنى (مع)، و (ما) مصدرية. والمعنى: ضاقت عليكم الأرض مع سعتها ورحبها؛ والمعنى: وضاقت عليكم الأرض على سعتها من الخوف، فجعل الله ذلك الرعب عقوبة لهم على إعجابهم بكثرتهم؛ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قال: قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ حُنَيْنٍ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَفِرَّ إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْغَنَائِمِ وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمْ يَفِرَّ فَلَقَدْ

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، حديث رقم: ١٧٧٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ».[1]

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾.

أي: مولين الأدبار منهزمين؛ لأنهم انهزموا أول الأمر حين رشقوهم بالنبال.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

السكينة: فعيلة من السكون، ومعناها: الطمأنينة والأمنة، أنزل الله تعالى الطمأنينة على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى تقدم إلى نحر العدو وهو على بغلة لا تحسن الكر والفر، ونادى بأعلى صوته ليعرفه من لم يعرفه غير خائف ولا هياب:

«أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»، حتى عطف عليه أصحابه، وأفاقوا من هول الصدمة وقاتلوا بين يديه حتى فتح الله تعالى عليهم.

﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾.

أنزل الله تعالى الملائكة ورآها المشركون وذلك أن مالك بن عوف أمير هوازن بعث عيونًا من رجاله، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم فقال ويلكم ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالًا بيضًا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله ما رده ذلك على وجهه أن مضى على ما يريد.

﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

أي: بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري وسلب الأموال.

---

١ - رواه البخاري- كتاب المغازي، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، حديث رقم: ٤٣١٧، ومسلم- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، حديث رقم: ١٧٧٦

الأساليب البلاغية:

عطف الخاص على العام ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾، للتنويه بشأن يوم حنين إذ جا النصر بعد اليأس.

الاستعارة في قوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، حيث شبه ما حل بهم من الكرب والهزيمة بضيق الأرض على سعتها.

وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾؛ لبيان سبب هلاكهم، وعلة عذابهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٢٧

لما من الله تعالى على المؤمنين بنصره لهم على هوازن بين الله تعالى أن من حكمته تعالى تعذيب الكفار بأيدي المؤمنين في الدنيا بالقتل والأسر، وأن من حكمته تعالى كذلك أن يتوب إلى الله تعالى من شاء الله تعالى هدايته ممن نجا من القتل منهم.

فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ﴾، إشارة إلى إسلام هوازن ومن معهم، وثم هنا للتراخي الرتبي؛ فإن هوازن لما هزموا في حنين رجعوا إلى الطائف وكانت ثقيف قد رَمُّوا حصنهم، وأدخلوا فيه مؤنة تكفيهم سنة، فدخلوا حصنهم، وأغلقوه عليهم وتهيئوا للقتال وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر يومًا، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي فقال: «ما ترى» فقال: ثعلب في حجر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضرك، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «لَمَّا حَاصَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الطَّائِفَ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، قَالَ: إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلَا نَفْتَحُهُ، وَقَالَ مَرَّةً: نَقْفُلُ فَقَالَ: اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ: إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ. فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم».[1]

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف إلى الجعرانة، وبها قسم غنائم حنين، ثم قدم عليه وفد هوازن تائبين مسلمين فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم السبي؛ فعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ قال: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ

١ – رواه البخاري– كتاب المغازي، بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ قَالَهُ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، حديث رقم: ٤٣٢٥

اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم انْتَظَرَهُمْ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَثْنَى عَلَى اللهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاؤُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ، فَرَجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرُوهُ: أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَاب الوَكَالَةِ، بَابٌ: إِذَا وَهَبَ شَيْئًا لِوَكِيلٍ أَوْ شَفِيعِ قَوْمٍ جَازَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لِوَفْدِ هَوَازِنَ حِينَ سَأَلُوهُ الْمَغَانِمَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَصِيبِي لَكُمْ، حديث رقم: ٢٣٠٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٢٨

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى المؤمنين بمنع المشركين من عمارة المسجد الحرام حال كونهم شاهدين على أنفسهم بالكفر بين الله تعالى هنا علة أخرى لمنع المشركين من دخول الحرم وهي أنهم نَجَسٌ.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.

﴿نَجَسٌ﴾ مصدر يستوي فيه الذكر والأنثى والتثنية والجمع، وهو اسم للشيء الذي النجاسة صفة ملازمة له، والمراد به نجاسة الاعتقاد بسبب شركهم بالله تعالى، فهي نجاسة معنوية.

وإنما هنا للحصر فإن المسلم لا ينجس ولو أصابت النجاسة بدنه أو ثوبه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ، فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟. قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ. فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ».[1]

﴿فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذَا﴾.

أمر صريح من الله تعالى للمؤمنين بمنع المشركين من دخول الحرم، وهذا الحكم خاص بالمسجد الحرام، فقد استقبل النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد النبوي، وربط ثمامة بن أثال في المسجد، والنهي هنا قاصر على المسجد الحرام بنص الآية ولما ثبت عن البني صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه بَعَثَهُ، فِي

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْغُسْلِ، بَابُ عَرَقِ الْجُنُبِ وَأَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ، حديث رقم: ٢٨٣، ومسلم- كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَنْجُسُ، حديث رقم: ٣٧١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ: لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ».[1]

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ﴾.

العيلة الفقر، وكأنهم توهموا أن منع المشركين عن المسجد الحرام سيكون سببًا في منع الخير الذي يجلبونه معهم، فوعدهم الله تعالى الغنى؛ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: لَتَنْقَطِعَنَّ عَنَّا الْأَسْوَاقُ، وَلَتَهْلِكَنَّ التِّجَارَةُ وَلَيَذْهَبَنَّ مَا كُنَّا نُصِيبُ فِيهَا مِنَ الْمَرَافِقِ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

عليم بما يصلح عباده، حكيم في تشريعاته سبحانه وتعالى.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا يَسْتُرُ مِنَ الْعَوْرَةِ، حديث رقم: ٣٦٩، ومسلم- كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ لَا يَحُجُّ الْبَيْتَ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَبَيَانُ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، حديث رقم: ١٣٤٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٢٩

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالبراءة من المشركين عباد الأوثان ونبذ عهودهم ومنعهم من دخول الحرم وقتالهم حتى يسلموا؛ كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]، أمر الله تعالى المؤمنين هنا بقتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى يؤمنوا بالله تعالى وحده، أو يعطوا الجزية صاغرين أذلة، بشرط المسلمين، وتجري عليهم أحكام الإسلام.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

هذا أمر من الله تعالى بقتال اليهود والنصارى؛ لأنهم هم الذين أوتوا الكتاب، وقد ذكر الله تعالى أن من صفاتهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وأنهم لا يدينون دين الحق، حتى لا يغتر أحد من الجهال بعبادتهم فيظن أنهم يؤمنون بالله تعالى، وهل يؤمن بالله من يزعم أن المسيح هو الله؟ أو يقول: إن الله ثالث ثلاثة؟ أو يزعم أن العزير ابن الله؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبير.

وهل يؤمن بالله تعالى من وصف الله تعالى بالعجز والتعب والبكاء والمرض كما يزعم اليهود والنصارى؟

وهل يؤمن باليوم الآخر من يزعم أن المسيح هو الذي يحاسب العباد يوم القيامة؟ وأنه لا خلاص لمن يؤمن بعقيدة الصلب؟

﴿وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

من أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر وغيرها من المحرمات.

﴿وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

أي: ولا يدينون لله تعالى بالدين الحق الذي لا يقبل الله تعالى سواه والذي هو دين الأنبياء جميعا من لدن آدم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ».[1]

﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.

أي: إن لم يسلموا يدفعوا إليكم الجزية مغلوبين مقهورين، وهم أذلة وليس لهم في ذلك على المسلمين منة، بل يعطوا الجزية منقادين مستسلمين.

١ - رواه البخاري-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابٌ: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، حديث رقم: ٢٥، ومسلم-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، حديث رقم: ٢٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٣٠

مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى في الآية السابقة أن أهل الكتاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾، بين سبحانه وتعالى في هذه الآية دلائل كفرهم، وبراهين شركهم بالله تعالى.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾.

ورد في لفظ ﴿عُزَيْرٌ﴾، قراءتان متواترتان الأولى قراءة عاصم والكسائي ويعقوب بالتنوين وتوجيهها أنه لفظ عربي، وقرأ الجمهور بغير التنوين وتوجيهها أنه اسم أعجمي.

ولا يلزم من قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾، أن يكون هذا القول قول جميع طوائف اليهود، بل قد يكون قول طائفة منهم واشتهر ذلك عنهم، فيكون الكلام من باب العام الذي يراد به الخصوص.

وسبب قول البهود عزيرٌ ابن الله أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قال: إِنَّمَا قَالُوا: هُوَ ابْنُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ أَنَّ عُزَيْرًا، كَانَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَكَانَتِ التَّوْرَاةُ عِنْدَهُمْ يَعْمَلُونَ بِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَعْمَلُوا، ثُمَّ أَضَاعُوهَا وَعَمِلُوا بِغَيْرِ الْحَقِّ. وَكَانَ التَّابُوتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ أَنَّهُمْ قَدْ أَضَاعُوا التَّوْرَاةَ وَعَمِلُوا بِالْأَهْوَاءِ، رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمُ التَّابُوتَ، وَأَنْسَاهُمُ التَّوْرَاةَ وَنَسَخَهَا مِنْ صُدُورِهِمْ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَرَضًا، فَاسْتَطْلَقَتْ بُطُونُهُمْ، حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ يَمْشِي كَبِدُهُ، حَتَّى نَسُوا التَّوْرَاةَ، وَنُسِخَتْ مِنْ صُدُورِهِمْ، وَفِيهِمْ عُزَيْرٌ. فَمَكَثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثُوا بَعْدَ مَا نُسِخَتِ التَّوْرَاةُ مِنْ صُدُورِهِمْ، وَكَانَ عُزَيْرٌ قَبْلُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَدَعَا عُزَيْرٌ اللَّهَ وَابْتَهَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِ الَّذِي نُسِخَ مِنْ صَدْرِهِ مِنَ التَّوْرَاةِ. فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي مُبْتَهِلًا إِلَى اللَّهِ، نَزَلَ نُورٌ مِنَ اللَّهِ فَدَخَلَ جَوْفَهُ، فَعَادَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ ذَهَبَ مِنْ جَوْفِهِ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَأَذَّنَ فِي قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ قَدْ آتَانِي اللَّهُ التَّوْرَاةَ، وَرَدَّهَا إِلَيَّ، فَعَلَّقَ يُعَلِّمُهُمْ، فَمَكَثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ يُعَلِّمُهُمْ. ثُمَّ إِنَّ التَّابُوتَ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَبَعْدَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذَهَابِهِ مِنْهُمْ، فَلَمَّا رَأَوُا التَّابُوتَ عَرَضُوا مَا كَانَ فِيهِ عَلَى الَّذِي كَانَ عُزَيْرٌ يُعَلِّمُهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِثْلَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا أُوتِيَ عُزَيْرٌ هَذَا إِلَّا إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ".[1]

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾.

اختلف النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم من قال: المسيح ابن الله، ومنهم من قال: المسيح هو الله، ومنهم من قال: إن الله ثالث ثلاثة، وهذه أشهر أقوال النصارى، وقيل: سبب ضلال النصارى في المسيح عليه السلام، رجل من اليهود يقال له: بولس، ويلقبونه ببولس الرسول، هو الذي زين لهم هذا الضلال؛ لأن عيسى عليه السلام ولد بدون أب، ولأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص.

﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾.

أي: ذلك قولهم بإقرارهم على أنفسهم بألسنتهم، وقيل: ذلك قولهم الذي لا معنى له بل هو كلام فارغ، لم يقم عليه دليلٌ ولم يعضده برهانٌ.

﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾.

قرأ عاصم بالهمزة وكسر الهاء ﴿يُضَاهِئُونَ﴾، وقرأ الباقون بغير همزة وضم الهاء ﴿يُضَاهُونَ﴾، وهما لغتان يقال: ضاهَيتُه وضاهأته؛ أي: شابَهْتُه، والمضاهاة المشابهة؛ أي: يشابهون قول الذين كفروا من قبلهم من الأمم الذين ضلوا ونسبوا لله تعالى الولد.

قال ابن عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾: يُشْبِهُونَ. وقال قتادة: ضَاهَتِ النَّصَارَى قَوْلَ الْيَهُودِ قَبْلَهُمْ.

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

دعاء عليهم بالهلاك والطرد من رحمة الله؛ قال ابن عباس رضي الله عنهم: لعنهم الله.

---

١ - تفسير الطبري جامع البيان (١١/ ٤١٠)، وابن أبي حاتم- حديث رقم: ١٠٠٤٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٣١

هذا أيضًا من دلائل كفر أهل الكتاب، اتخاذ اليهود أحبارهم أربابًا من دون الله، واتخاذ النصارى رهبانهم أربابًا من دون الله؛ يشرعون لهم ما لم يأذن به الله فيستجيبون لهم، يحلون لهم ما حرم الله فيطيعونهم، ويحرمون عليهم ما أحل الله فيطيعونهم، ويزعمون أنهم وكلاء عن الله تعالى، ويصرفون لهم من العبادت ما لا ينبغي إلا لله تعالى، بل ويسجدون لهم من دون الله تعالى، واتخذ النصارى المسيح ربًّا من دون الله تعالى؛ فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ، فَطَرَحْتُهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةَ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [التوبة: ٣١] حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ».[1]

والأحبارُ: جمع حَبْرٍ بفتح الحاء وهو العالم من اليهود، والرهبان: جمع راهب، وهو المتبتل المنقطع للعبادة عند النصارى، والرهبانية مما ابتدعه النصارى في دينهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾.[2]

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾.

أي: وما أُمِرَ أهل الكتاب إلا بعبادة الله الواحد الأحد، فلم يرسل الله تعالى نبيًّا ولا رسولًا إلا بتوحيده تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٧]، وفي التوراة: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد" [سفر التثنية/ ٦: ٤].

---

١ - رواه الترمذي-أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٣٠٩٥، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٢١٨، بسند حسن

٢ - سورة الحديد: الآية/ ٢٧

والعبادة هي: كمال الطاعة مع كمال الحب والذل، ولا ينغي ذلك إلا لله تعالى، فالدين ما شرعه الله تعالى والحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله تعالى، فمن شرع من الدين ما لم يأذن به الله، ومَنْ حرَّم ما أحله الله تعالى أو أحلَّ ما حرمه الله تعالى فقد تعدى على مقام الربوبية، وهذا هو ما كان يفعله الأحبار والرهبان.

﴿لَا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾.

لا معبود بحق سواه، ولا مشرع للدين غيره.

﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

تنزيه لله تعالى عما يشركون به في العبادة والطاعة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٣٢، ٣٣

أي: يريد هؤلاء الكفار من أهل الكتاب أن يطفئوا نور الله وهو الإسلام ونبوة النبيّ صلى الله عليه وسلم بأفواههم بجدالهم وافترائهم، وقيل: شبه حالَهم بحال من يريد طمس نورٍ عظيم منتشرٍ في الآفاق بنفخة بفمه.

وقيل: ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ القرآن وكنى بالأفواه عن قلة حيلتهم وضعفها، حيث أخبر أنهم يحاولون أمرًا جسيمًا بسعي ضعيف.

وقيل: إن الله لم يذكر قولًا مقرونًا بالأفواه والألسن إلا وهو زور.

قال هنا: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾، وقال في الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾، والفرق بين الموضعين أن قوله: ﴿أَنْ يُطْفِئُوا﴾ يقصدون إطفاء نور الله تعالى، و ﴿لِيُطْفِئُوا﴾؛ أي: يقصدون أمرًا يتوصلون به إلى إطفاء نور الله. قال الراغب.[1]

﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾.

أي: ولا يريد الله إلا إتمامَ نور الإسلام حتى يعم البشرية جمعاء، ﴿وَيَأْبَى﴾ إيجاب يقع بعده أحيانًا إلا وذلك لوقوعه هو موقع الفعل المنفي، لأن التقدير ولا يريد الله إلا أن يتم نوره.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

وَسَمَهُم هنا بالكفر، ولم يقل أهل الكتاب حتى لا يغتر بحالهم مغترٌ ويظن أنهم على شيء من الدين؛ وأيضًا للمناسبة بين الكفر والإطفاء، فأن الكفر معناه التغطية والستر، وهو المراد من الإطفاء.

---

١ – المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٢٢)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾.

أي: الله الذي يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والبيان الواضح، وَدِين الحَق، وهو الإسلام.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

الدين اسم جنس، والمراد ليظهر الله تعالى دينه على كل دين؛ فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ".[1]

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾، يفسر تلك الحملات المسعورة على الإسلام والمسلمين في المشرق والمغرب لوقف المد الإسلامي، فهم يكرهون الإسلام ويكرهون انتشاره بين الناس، ويبغضون القرآن ورسول الإسلام محمدًا صلى الله عليه وسلم، ويبغضون المسلمين، ويسعون بكل سبيل للتضييق عليهم وطمس هويتهم، والاستهزاء بهم والسخرية منهم، ووصمهم بالإرهاب والتطرف، ومع يدخل الناس في الإسلام زرافات ووحدانا، لأنه وعد الله الذي لا يتخلف.

ووصفهم الله تعالى هنا بالمشركين وإن كان ذلك الوصف يطلق غالبًا على الوثنيين؛ لأمرين الأول: مشابهة أهل الكتاب للوثنيين في الصد عن سبيل الله تعالى، والعداء للإسلام والمسلمين، والثاني: لما يعتقدونه من الإيمان بألوهية العزير والمسيح وغيرهما.

والتذييل بوصف الشرك للمناسبة بين الشرك ودين الحق؛ فأن دين الحق التوحيد.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٦٩٥٧، بسند صحيح

الأساليب البلاغية:

الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شبه تكذيبهم بآيات الله، بإخماد النار، فاستعار له اسم المشبه به ثم اشتق من الإطفاء، بمعنى التكذيب.

ومنها الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله: ﴿نُورَ اللَّهِ﴾ حيث شبه شرائع الله وأحكامه وآياته النيرة الدالة على وحدانيته بالنور الحسي، كالشمس بجامع الاهتداء بكل منها؛ لأنها يهتدى بها إلى الصواب والحق، كما يهتدى بالنور الحسي إلى المحسوسات.

وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾؛ لإثبات وصف الكفر عليهم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٣٤، ٣٥

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى أن من دلائل كفر أهل الكتاب، أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، بين الله تعالى هنا حال هؤلاء الأحبار والرهبان، وأنهم أسوء حالًا من عامة اليهود والنصارى، فهتك سترهم وكشف عوارهم، وأنهم لا يدعون الناس إلى عبادة الله تعالى كما يوهمونهم، وإنما همهم الدنيا، وتحصيل ملذاتها، والصد عن سبيل الله تعالى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾.

يقول الله تعالى مخاطبًا أهل الإيمان ليعلموا حقيقة هؤلاء الأحبار والرهبان، وأنهم لا يستحقون تكريمًا ولا تعظيمًا، بل هم في أحط الدركات، لما يتصفون به من قبيح الصفات، ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، بما يفرضونه على الناس من الضرائب والعشور باسم الكنائس والبِيَعِ، وبما يأكلونه من الرشا والسحت باسم الدين، لمغفرة الخطايا، ودخول الجنة بزعمهم.

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي: وهم مع أكلهم أموال الناس بالباطل يصدون عن سبيل الله، بكتمان الحق وتحريف كلام الله تعالى، وكتمان البشارات برسول الله صلى الله عليه وسلم، والطعن في الإسلام، والافتراء عليه، وعلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم؛ لتنفير الناس عن دين الله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

الكنز لغة: الضم والجمع، ولا يختص بالذهب والفضة؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ....."[1].

وشرعًا: الكنز كل مال لم تؤد زكاته، وأما الذي أديت زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفونًا.

واختلف العلماء في المراد بهذا الوعيد فقيل: المرادُ: أهل الكتاب وأن هذه من جملة النقائص التي يتصفون بها، وهي كنزهم الأموال بعد جبايتها من الناس بالباطل والسحت، ويكون التقدير: (ويأكلها الذين يكنزون...) ويكون (الذين) في محل نصب بالعطف على اسم إن ودل على ذلك ما حكاه سلمان الفارسي رضي الله عنه حين أخرج أموال الراهب وكنوزه التي كان يأخذها من الناس.

وقيل المراد بذلك من لم يؤد زكاة ماله من هذه الأمة، قرن الله تعالى بينه وبين أهل الكتاب في الوعيد والعذاب، وتكون (الذين) رفع على الابتداء.

وقيل المراد بذك أهل الكتاب، وهي تشمل كذلك كل من لم يؤد زكاة ماله من هذه الأمة، وهذا أولى.

«عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ بِالشَّامِ، فَقَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: إِنَّمَا هِيَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقُلْنَا: إِنَّهَا لِفِينَا، وَفِيهِمْ»[2].

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٧١١٤، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٧١٥٧، والدعاء– حديث رقم: ٦٣٢، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، وابن أبي شيبة غي المصنف– حديث رقم: ٢٩٣٥٨ بسند حسن

٢ – مصنف ابن أبي شيبة (٢: ٤٢٧)

وإنما قال: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾، ولم يقل: (ولا ينفقونهما)، على إرادة الكنوز أو الأموال، أو يكون المعنى: يكنزون الذهب ولا ينفقونه، ويكنزون الفضة ولا ينفقونها، فاكتفى بأحدهما عن الآخر.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

أي: فبشرهم بعذاب مؤلم ألَمًا شديدًا، وذكر البشارة هنا تهكمًا بهم؛ لأن البشارة لا تكون إلا بما يسر.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنزتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنزونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٣٥

يقول الله تعال: فبشرهم بعذاب أليم يوم يُوقد على تلك الكنوز في نار جهنم حتى تُحمى، من حمي الشيء يحمى حميًا إذا سخن، ويقال: أحميت الحديدة إحماء حتى حميت، أي: أوقدت عليها حتى احمرت واشتدت حرارتها.

والأصل أن الفعل حمى يتعدي بنفسه يقال: أحميت الحديدة، وعدي هنا بـ (على) لتضمنه معنى الإيقاد، وتقديره يوم يحمى بالإيقاد عليها في نار جهنم.

﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

قيل: خص تلك المواضع بالذكر الجباه والجنوب والظهور؛ لأن مانع الزكاة إذا تعرض له الفقير قطب جبينه، ثم مال عنه بجنبه، ثم ولاه ظهره.

قال الواحدي: وكان أبو بكر الوراق يقول: خصت هذه المواضع لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه، وطوى عنه كشحه وولاه ظهره.[1]

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».[2]

﴿هَذَا مَا كَنزتُمْ لأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنزونَ﴾.

يقال لهم يوم القيامة: هذا الذي جمعتم لأنفسكم، ومنعتم حق الله فيه، يكون به عذابكم اليوم، فذوقوا وبال ما تلذذتم بجمعه في الدنيا؛ ومن العذاب في أرض المحشر ما رواه البخاري

---

١ - التفسير الوسيط للواحدي (٢: ٤٩٣)

٢ - رواه مسلم-كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ، حديث رقم: ٩٨٧

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، يَفِرُّ مِنْهُ صَاحِبُهُ، فَيَطْلُبُهُ وَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ، قَالَ: وَاللهِ لَنْ يَزَالَ يَطْلُبُهُ، حَتَّى يَبْسُطَ يَدَهُ فَيُلْقِمَهَا فَاهُ».[1]

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يَفْعَلُ فِيهِ حَقَّهُ إِلَّا جَاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُهُ فَاتِحًا فَاهُ، فَإِذَا أَتَاهُ فَرَّ مِنْهُ، فَيُنَادِيهِ خُذْ كَنْزَكَ الَّذِي خَبَّأْتَهُ، فَأَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ، فَإِذَا رَأَى أَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ سَلَكَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَيَقْضَمُهَا قَضْمَ الْفَحْلِ».[2]

الأساليب البلاغية:

التضمين في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا﴾، عدي الفعل يحمى بـ (على) لتضمنه معنى الإيقاد، وتقديره يوم يحمى بالإيقاد عليها في نار جهنم.

والإيجاز بالحذف في قوله: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾، وتقديره فيقال لهم: ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْحِيَلِ، بَابٌ فِي الزَّكَاةِ وَأَنْ لَا يُفَرَّقَ بَيْنَ مُجْتَمِعٍ وَلَا يُجْمَعَ بَيْنَ مُتَفَرِّقٍ خَشْيَةَ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ٦٩٥٧

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ إِثْمِ مَانِعِ الزَّكَاةِ، حديث رقم: ٩٨٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٣٦

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله تعالى قبائح المشركين الوثنين وما كانوا عليه من الضلال، وأعقب ذلك بقبائح أهل الكتاب وما هم عليه من الضلال، ذكر الله تعالى هنا ما شملهما من القبائح، وما اشتركا فيه من الضلال وهو تغيير عدة الشهور بالزيادة فيها والنقصان، وما ترتب على ذلك من فساد العبادات، واضطراب أحوال الناس، باضطراب المواقت واختلالها.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً﴾.

يخبر الله تعالى أن عدة الشهور التي جعلها الله تعالى مواقيت للناس هي اثنا عشر شهرًا، بخلاف ما أحدثه المشركون من الزيادة والنقصان بشهر النسيء لمآرب في نفوسهم، كما سنبين، وبخلاف ما أحدثه أهل الكتاب من العدول عن الأشهر القمرية التي أمروا بالأخذ بها إلى التوقيت الشمسي الذي لا ينضبط، وجعلوا توقيت تلك الأشهر خاضعًا لأهوائهم، فسموها بأسماء ملوكهم، وزادوا فيها ونقصوا، وبدلوا دين الله تعالى.

يقول تعالى: إن عدة شهور السنة اثنا عشر شهرًا في كتاب الله؛ أي: في اللوح المحفوظ الذي كتبَ فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة في قضائه الذي قضى يوم خلق السماوات والأرض، وليس كما أحدثه المشركون؛ قال مجاهد: هَذَا فِي شَأْنِ النَّسِيءِ، لِأَنَّهُ كَانَ يُنْقِصُ مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا.

وهذه الشهور على منازل القمر وليست بالتوقيت الشمسي كما ذهب إليه أهل فارس والرُّوم والقبط، فإن عدد أيام السنة عندهم ثلاثمائة وخمس وستون يومًا وربع يوم، فأخبر الله تعالى أن عدة الشهور في حكمه تعالى وفي تشريعه الذي ارتضاه لعباده اثنا عشر شهرًا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بحساب الأهلة وهي: المحرم وصفر وربيع الأول وشهر ربيع الثاني وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتابِ اللَّهِ﴾.

المراد بكتاب الله هنا: اللوح المحفوظ؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: في الإمام الذي عند الله، كتبه يومَ خلَق السماوات والأرض.

وقال علي بن الحسين بن واقد: أي: في اللوح المحفوظ.

وقيل: في حكم وقضائه الذي قضى به.

﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ﴾.

أي: قضي الله تعالى بذلك الحكم وحكم به يوم خلق السماوات والأرض.

﴿مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾.

ثلاثة منها سرد، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب.

﴿ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

أي: ذلك الذي حكم الله تعالى به وارتضاه لعباده هو الدين القويم، وما سواه محدث مبتدع، وتشريع فاسد؛ وفيه دليل على أن اعتماد التقويم الهجري من دين الله تعالى، وأن ترك العمل بذلك التقويم والعمل بالتقويم الميلادي ترك لشيء من دين الله تعالى، وكانت الدول الغربية تشترط على الدول الإسلامية التي استعمارتها عند الاستقلال العمل بالتقويم الميلادي، إمعانًا في إذلال تلك الدول، وإخضاعها لثقافتها.

﴿وَقاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾.

(كَافَّةً): مصدرُ كفَّ عن الشيء، وأصله المنع، وهي كلمة تدل على العموم والشمول، ولا يثنى كافة ولا يجمع، و(كَافَّةً): مَنْصُوب على الْحَال، ومن معانيها الجَمِيع والإحاطة والمعنيان

مرادان هنا، أي: قاتلوهم جميعًا محيطين بهم كما هو شأنهم في قتالكم، يقاتلونكم مجتمعين، ويرمونكم عن قوس واحدة.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

بشارة من الله تعالى مشروطة بالمداومة على تقوى الله تعالى، والمعية هنا معية نصر وتأييد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٣٧

سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية أن أهل الجاهلية كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرًا ويجعلون المحرم مرة حلالًا ومرة حرامًا، فإذا أحلوا المحرم أبدلوا مكانه صفر بالتحريم، وكان السبب في ذلك أن عامة معايشهم كانت بالغارات والقتال، فكان يشق عليهم أن يكفوا عن القتال ثلاثة أشهر متوالية، وكان الذي يتولى التحليل والتحريم رجل من بني كنانة وهو: أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية الكناني، ورث ذلك عن آبائه، وكان يقوم على ناقة ويقول: أيها الناس، أنا لا أعاب ولا أجاب ولا يرد قضاء قضيته، أما إني قد أحللت المحرم وحرمت صفر العام.

روى ابن جرير عَنْ أَبِي مَالِكٍ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، قَالَ: كَانُوا يَجْعَلُونَ السَّنَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا، فَيَجْعَلُونَ الْمُحَرَّمَ صَفَرًا، فَيَسْتَحِلُّونَ فِيهِ الْحُرُمَاتِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾.[1]

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾.

النسيء مصدر نسأ ومعناه التأخير، يقال: نسأت الشيء إذا أخرته، ومنه قول رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».[2]

---

١ - تفسير الطبري (١١: ٤٥٦)

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَنْ بُسِطَ لَهُ فِي الرِّزْقِ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، حديث رقم: ٥٩٨٥، ومسلم- كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، حديث رقم: ٢٥٥٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمراد بالنسيء هنا تأخير حرمة شهر الله المحرم إلى شهر آخر وهو صفر، يقول الله تعالى: إنما التأخير الذي أحدثه المشركون لشهر الله المحرم زيادة في كفرهم بالله تعالى، لما فيه من تغيير أحكام الله تعالى، وكانوا لشدة كفرهم يتباهون بذلك يقول عُمَيْرُ بن قيس:

لقد علمت معدّ بأن قَوْمِي ***** كِرَامُ النَّاسِ أَنَّ لَهُمْ كِرَامَا

أَلَسْنَا النَّاسِئِينَ عَلَى مَعَدٍّ ***** شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامَا

فَأَيُّ النَّاسِ لَمْ نُدْرِكْ بِوِتْرٍ؟ ***** وَأَيُّ النَّاسِ لم نعلك لجامًا؟

﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

﴿يُضَلُّ﴾، بالبناء للمفعول، أي: يُضِلُ به الشيطانُ الذين كفروا بالله تعالى، وهي قراءة حمزة والكسائي وحفص، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾، وقرأ الباقون ﴿يَضِلُّ﴾، أي: يَضِلُّون بذلك عن دين الله تعالى لما أحدثوه من الابتداع في دين الله تعالى.

﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.

أي: يُحلُّون القتالَ في هذا الشهر مرةً ويحرِّمونه مرةً، ليُوافقوا عدةَ ما حرَّم الله، والمواطَأة: الموافَقة، فيقولون: الأشهر الحرم أربعةٌ، وقد حرَّمنا أربعةَ أشهر.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

أي: زين لهم الشيطان أعمالهم السيئة، والله لا يهدي للحق من آثر الكفر على الإيمان، والضلال على الهدى.

الأساليب البلاغية:

القصر في قوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾، والمعنى: ليس النسيء إلا زيادة في الكفر.

الطباق بين بين يحلونه ويحرمونه في قوله تعالى: ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾.

حذف الاختصار في قوله: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾، والغاية منه التعظيم إن كان المزين هو الله تعالى، والتحقير إن كان الشيطان هو المزين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ (٣٨) إِلا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

سورة التوبة: الآية/ ٣٨، ٣٩

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى بقتال المشركين، وعدَّدَ فضائح أهل الكتاب وما يفعلونه من الصد عن سبيل الله تعالى ومحاربة دينه، حذر الله تعالى المؤمنين هنا من مغبة ترك الجهاد، والانشغال بالدنيا عن نشر دين الله تعالى.

سبب نزول الآية:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوة ورى بغيرها ليعمي على العدو وجهته، فلما كانت غزوة تبوك جلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أمرهم، وأعلمهم أنه يريد غزو الروم ليتأهبوا للغزو، ويعدوا للأمر عدته، وكان ذلك في زمان عسرة من الناس، وشدة من الحر، حين طابت الثمار والظلال، فمن الناس من حدثته نفسه بالقعود عن الجهاد، لشدة الحر، وبعد السفر، وكثرة عدد الروم وشدة بأسهم، وحاجته إلى إصلاح الأموال وجني الثمار، ومنهم من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى تلك الآيات عتابًا لهم ووعيدًا للمتخلفين عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

يقول الله تعالى معاتبًا للمؤمنين وموبخًا لهم ومنكرًا عليهم: ما شأنكم؟ والسؤال للإنكار والتوبيخ، ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، النفر: هو الانتقال بسرعة من مكان إلى مكان لأمر يحدث، والمراد به هنا الخروج مسرعين إلى عدو يخشى هجُومه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾.

أصلها تثاقلتم إلى الأرض، أدغمت التاء في الثاء لقربهما، وجيء بألف الوصل ليتوصل بها إلى النطق بالساكن؛ كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا﴾ [الْأَعْرَاف: ٣٨]، أصلها تداركوا، وعدي: ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾، بإلى لتضمنه معنى الميل والإخلاد.

﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾.

أي: أرضيتم بزخرف الحياة الدنيا والراحة والدعة فيها عوضًا وبدلًا من نعيم الآخرة؟

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ﴾.

المراد بالمتاع هنا الشيء المتمتع به، من إطلاق المصدر على المفعول، كالخلق بمعنى المخلوق أي: ليس شيء من متاع الدنيا إلا وهو قليل حقير بالنسبة لنعيم الآخر؛ ودل على هذا المعنى ما ثبت عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ».[1]

﴿إِلا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

هذا وعيد وتهديد بالعذاب في الدنيا والآخرة على ترك الجهاد في سبيل الله، أما في الدنيا فبالذل وتسلط الأعداء، وأما في الآخرة فبالنار عياذا بالله.

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾.

أي: ويستبدل بكم قومًا غيركم يكونون خيرًا منكم وأطوعَ لله تعالى، والله تعالى لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معية العصاة المذنبين.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٢٨٥٨

والله تعالى لا يعجزه شيء، من إهلاك أعدائه، وتعذيب من خالف أمره، واستبدال من عصاه.

الأساليب البلاغية:

التضمين في قوله تعالى: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾، ضمن: (اثَّاقَلْتُمْ) معنى: الميل والإخلاد فعدي بـ (إلى)، أي: اثاقلتم مائلين إلى الدنيا وشهواتها.

والإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؛ لزيادة تقرير أن متاعها قليل وزوالها سريع.

والطباق بين لفظ: (الدنيا) و (الآخرة).

وفي ترشيح الحياةِ الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبةَ فيها وتجريدِ الآخرة عن مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ﴾، مبالغةٌ في بيان حقارة الدنيا ودناءتِها وعِظَمِ شأن الآخرة وعلوها.

وجناس الاشتقاق في قوله: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٤٠

مناسبة الآية لما قبلها:

لما حذر الله تعالى المؤمنين من مغبة ترك الجهاد في سبيله، والقعود عن نصرة دين الله، والتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكرهم الله تعالى بعنايته لرسوله صلى الله عليه وسلم ونصره حين تكالب عليه المشركون فسلمه الله تعالى منهم، وأعمى أبصارهم عنه، وأيده بجنود من عنده.

﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾.

يقول الله تعالى للمؤمنين إلا تنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد تكفل الله تعالى بنصره، على كثرة أعدائه وقلة أوليائه، ومن كان الله معه فلا يضره صلى الله عليه وسلم خذلان من تخلف عنه.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

أسند الله تعالى الإخراج إلى الكفار مع أنه هو الذي أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة؛ لأنهم أرادوا ذلك حتى اضطروه إلى الخروج من بلده مكرهًا، بل وأرادوا قتله؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ...﴾.[1]

وكما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.[2]

---

١ - سورة الأنفال: الآية/ ٣٠

٢ - سورة محمد: الآية/ ١٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾.

قال الزجاج: هو نصب على الحال، أي: أخرجوه وهو أحد الاثنين منفردًا إلا من صاحبه، تقول العرب: هو ثاني اثنين يعني أحد الاثنين، وثالث ثلاثة يعني: أحد ثلاثة، ورابع أربعة، يعني أحد الأربعة، والاثنان هما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.

﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

أي: إذ كانا في الغار، والغار ثقب في الجبل عظيم، والمراد به غار ثور، وكان ذلك وقت الهجرة، قال مجاهد: «مَكَثَ أَبُو بَكْرٍ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْغَارِ ثَلَاثًا».[1]

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

أي: إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، وإنما كان حزن أبي بكر رضي الله عنه خوفًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يناله منهم مكروه، وكان المشركون قد جعلوا فيه الدية لمن أتى به حيًّا أو ميتًا، وقصَّ المشركون آثارهم حتى وقفوا على باب الغار، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا" ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾؛ فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَهُ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَنَحْنُ فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ. قَالَ: فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا".[2]

﴿فَأَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

السكينة: هي الأمنة والطمأنينة التي تسكن بها القلوب، أي: فأنزل الله طمأنينته على رسوله صلى الله عليه وسلم، وقيل: على أبي بكر، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تزل

---

١ - تفسير الطبري جامع البيان- ط: هجر (١١/ ٤٦٦)

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، باب ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾، حديث رقم: ٤٦٦٣، ومسلم- كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابٌ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٣٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معه السكينة، والراجح الأول؛ لأن الضمائر بعدها للرسول صلى الله عليه وسلم، وكونه لم تزل معه السكينة لا ينافي تجدد نزولها في ذلك الموقف.

﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

أي: وقواه الله تعالى بجنود لا يعلمها إلا هو، ﴿وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.[1]

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾.

أي: وجعل الله تعالى كلمة الشرك السفلى؛ لأنه أبطلها ومحق أهلها، وكلمة الله وتوحيده لا إله إلا الله هي الكلمة العليا المنصورة.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أي: والله تعالى عزيز في انتقامه ممن كفر به، وكذَّب رسوله صلى الله عليه وسلم، حكيم في تدبيره لأوليائه.

الأساليب البلاغية:

وضع المضمر موضع الظاهر في قوله: ﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾؛ لتفخيم أمره وتعظيم شأنه.

الاستعارة في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾، استعارة عن الشرك.

وقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾، استعارة عن الإيمان والتوحيد.

والطباق بين: (السفلى) و (العليا)، في قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾.

---

١ - سورة المدثر: الآية/ ٣١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٤١

لما حذَّرَ اللهُ تعالى المؤمنين من مغبة ترك الجهاد في سبيله، أمرهم بالنفير العام مع رسوله صلى الله عليه وسلم، على كل حال في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وما جعل لأحد عذرًا في ترك الخروج، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً﴾.

و ﴿خِفافاً﴾. جمع خفيف، وهي استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة، ﴿وَثِقالاً﴾: جمع ثقيل، وهي استعارة لمن يمكنه السفر بمشقة، ونُصِبَ على الحال.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً﴾: انْفَرُوا نَشَاطًا وَغَيْرَ نَشَاطٍ.

وقَالَ أَبو طَلْحَةَ: كُهُولًا وشَبَابًا، مَا أَسْمَعُ اللَّهَ عَذَر أَحَدًا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: شَبَابًا وَشُيُوخًا، وَأَغْنِيَاءَ وَمَسَاكِينَ.

وَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عُتيبة: مَشَاغِيلُ وَغَيْرُ مَشَاغِيلَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ قَوْلُهُ: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً﴾ يَقُولُ: غَنِيًّا وَفَقِيرًا، وَقَوِيًّا وَضَعِيفًا.

﴿وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

وبما أمرهم الله تعالى بالخروج على كل حال ولم يعذر أحدًا بترك الخروج، أمرهم بأكمل حال يكون عليه الجهاد، وهو الجهاد بالأموال والأنفس؛ كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ» يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ».[1]

وقدمت الأموال في الذكر للحاجة إليها لتجهيز الجيوش قبل القتال.

﴿ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أي: ذلكم الذي تؤمرون به خيرٌ لكم في دينكم ودياكم وآخرتكم، وتركُه فسادٌ وشرٌّ لكم في دينكم ودياكم وآخرتكم.

قال ابن عباس، ومحمد بن كعب، وعطاء الخراساني وغيرهم أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾.[2]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَانْفِرُوا ثَبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.[3]

قَالَ: نَسَخَتْهَا: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ الْآيَةَ.[4]

وقال أَبُو الْقَاسِمِ هِبَةُ اللهِ بْنُ سَلاَمَةَ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾، وَقَوله تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، نسختا جَمِيعًا بقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً.....﴾ الْآيَة، وَقَوله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا خُذوا حِذرَكُم فانفروا ثبات أَو انفروا جَمِيعًا﴾.[5]

---

١ – رواه أبو داود– كِتَاب الصَّوْمِ، بَابٌ فِي صَوْمِ الْعَشْرِ، حديث رقم: ٢٤٣٨، والترمذي– أَبْوَابُ الصَّوْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْعَمَلِ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ، حديث رقم: ٧٥٧، وابن ماجه– كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ صِيَامِ الْعَشْرِ، حديث رقم: ١٧٢٧، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، بسند صحيح

٢ – سورة التوبة: الآية/ ١٢٢

٣ – سورة التوبة: الآية/ ٤١

٤ – سورة التوبة: الآية/ ١٢٢

٥ – الناسخ والمنسوخ للمقري (ص: ١٠٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٤٢

مناسبة الآية لما قبلها:

لما رغب الله تعالى المؤمنين في الجهاد، وحذَّرَهم من التثاقل عن الجهاد في سبيله، بين هنا حال من تخلف عن الجهاد مع رسوله صلى الله عليه وسلم، فكشف عوارهم وهتك أستارهم، وبين أن الحامل لهم عن التخلف عن رسوله صلى الله عليه وسلم إنما هو النفاق، وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة.

يقول الله تعالى في شأن المنافقين الذين تعللوا بالعلل للقعود عن الجهاد: ليس الأمر كما يزعمون أنهم لا يستطيعون الخروج معكم، ولكن ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾؛ أي: لو كان ما يدعون إليه غنيمة قريبة سهلة، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾؛ أي: وسفرًا قريبًا سهلًا، ﴿لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾، لخرجوا معك طمعًا في الغنيمة، وإيثارًا للراحة، ولكنك استنفرتهم إلى موضع بعيد، وكلفتهم سفرًا شاقًا، الشُّقَّةُ: السفرُ الطَّوِيلُ، والمسافة البعيد؛ وَفِي حَدِيثِ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ: "إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ". أَي مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ.

قال الأَزهري: الشُّقَّةُ بُعْدُ مَسيرٍ إِلَى الأَرض الْبَعِيدَةِ.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾.

يخبر الله تعالى عنهم أنهم سيحلفون بالله تعالى قائلين: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾؛ وذلك لعدم إيمانهم بالله تعالى؛ كما قال الله تعالى عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢]، ما قصدوا بالحلف إلا أن يعرض عنهم المؤمنون، وحلفهم واعتذارهم على هذه الصفة من دلائل النبوة؛ لأنه وقع كما وصف الله تعالى.

﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

أي: يهلكون أنفسهم بالحلف الكاذب، لأنهم يعتذرون بأعذار كاذبة، ويتعللون بعلل واهية.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

أي: والله يعلم أنّهم كانت لهم سعة من المال والزاد، وكانوا في عافية، وإنّهم لكاذبون في حلفهم واعتذارهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣) لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٤٣- ٤٥

هذا عتاب من الله تعالى عاتب به رسوله صلى الله عليه وسلم في إذنه لمن استأذنه في التخلف عن الخروج معه إلى غزوة تبوك، حتى يعلم الصادق منهم من الكاذب، ولما كان وقع هذا العتاب شديدًا جدًا على قلب النبي صلى الله عليه وسلم صدره بقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾، لطفًا ورفقًا به صلى الله عليه وسلم، فتأمل ذلك اللطف كيف بدأ الله تعالى بالعفو قبل العتاب على الإذن!

قال الحسين بن الفضل: هذا من لطيف المعاتبة ولو لم يفتتح الخطاب بالعفو ما كان يقوم لقوله: ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾، فطيب الله نفسه بتصدير العفو.

﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: لأي شيء أذنت لهؤلاء الذين استأذنوك في التخلف عن الخروج معك هلا تمهلت حتى تتبين حالهم فتعرف الصادق من الكاذب؟ فإنهم كانوا مصرين على القعود؛ قال مجاهد: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أُنَاسٍ قَالُوا: استأذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ أَذِنَ لَكُمْ فَاقْعُدُوا، وَإِنْ لَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ فَاقْعُدُوا.

قال عمرو بن ميمون الأودي: فعل رسول الله شيئين بغير إذن من الله: فداء أسارى بدر، وأذن للمتخلفين في غزوة تبوك، فعاتبه الله تعالى فيهما جميعًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الآية دليل على أنه يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم أن يجتهد فيما لا نص فيه ولكنه يُقرُّ على خطأ؛ قال ابن الجوزي: للنَّبِي صلى الله عليه وسلم أَن يجْتَهد بِرَأْيِهِ فِي الْأَحْكَام، وَلَكِن الله عز وجل لَا يقره على خطأ.[1]

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾.

ثم بين الله تعالى حال المؤمنين المتقين وأنهم لا يستأذنون في الجهاد لأنهم يرونه من أعظم القربات، وأجل الطاعات.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾، أي: وسيجازيهم الله تعالى على إيمانهم وتقواهم.

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

أي: إنما يستأذن في القعود عن الجهاد الذين لا يؤمنون بالله ربًّا ولا يرجون ثوابًا عن الطاعات يوم القيامة.

﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

أي: وشكوا فيما جئتهم به من الدين واضطربوا في عقيدتهم، فهم متحيرون في شكهم؛ كما ثبت عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً».[2]

---

١ - كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤: ٥٩)

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، حديث رقم: ٢٧٨٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٤٦- ٤٨

يقول الله تعالى عن هؤلاء الذين تخلفوا عن الخروج وتعللوا بعدم الاستطاعة: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾، أي: لتجهزوا للغزو من الزاد والماء وما يركبون؛ لأن سفرهم بعيد، فلما لم يعدوا العدة للخروج دل ذلك على عدم إرادة الخروج أصلًا وأن حلفهم بالله وقولهم: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾. [التوبة: ٤٢]، كذب لما كانوا يضمرونه من الكفر والنفاق.

والعدة هنا: ما يحتاج إليه المحارب من الدابة والسلاح والزاد.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾.

الانبعاث: مطاوع البعث، وهو الإرسال بقوة ونشاط، ومنه بعث الرسل.

والتثبيط: إزالة العزم، والتعويق عن الأمر.

أي: ولكن كره الله تعالى خروجهم للقتال لكفرهم بالله تعالى، وكراهيتهم الجهاد في سبيله، ولابتغائهم الفتنة بين المؤمنين لو خروجوا معهم كما سيأتي؛ وهذه الآية كقول الله تعالى عن اليهود: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.[1]

﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

أي: وقيل لهم سخرية واستهزاء بهم: اقعدوا مع المتخلِّفين من العجزة والزَّمْنَى والنساء والصبيان والمجانين.

١ - سورة المائدة: الآية/ ٤١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالًا﴾.

الخبال: كلمة جامعة لمعاني الفساد والشر واضطراب الحال؛ قال ابن عباس: الخبال الفساد ومراعاة إخماد الكلمة. وقال الضحاك: المكر والغدر.

أي: لو خرج هؤلاء المنافقون في جملتكم ما زادوكم قوةً، ولكن سعوا للإفساد بينكم بالتهويل من قوة الكفار، وإشاعة الأراجيف بين المؤمنين، وعلى هذا فقوله: ﴿إِلا خَبَالًا﴾، استثناء منقطع، أي ما زادوكم قوة ولكن أرادوا الفساد والشر.

﴿وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾.

الإيضَاعُ: الإسرَاعُ، ومنه قول النَّبِيّ الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ».[1]

وقوله: ﴿خِلالَكُمْ﴾ مِنَ التَّخَلُّلِ، والمعني: لو خرجوا فيكم لأسرعوا بنشر الشر بينكم، بالنميمة والبغضاء لتحصل الفتنة بينكم.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

أي: وفيكم من يستجيبون لهم، ويستحسنون حديثهم، ولا ينهونهم عن النميمة، والفت في عضد المؤمنين.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

هذا وعيد وتهديد من الله تعالى لمن كان هذا شأنه.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾.

يقول الله تعالى: لقد طلب هؤلاء المنافقون إيقاع الفتنة بين المؤمنين، قبل غزوة تبوك بمالأة المشركين، والوقيعة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والصد عن سبيل الله،

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ أَمْرِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِالسَّكِينَةِ عِنْدَ الْإِفَاضَةِ وَإِشَارَتِهِ إِلَيْهِمْ بِالسَّوْطِ، حديث رقم: ١٦٧١

ومحاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، ورجوع عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمة في غزوة أحد، وقولهم: ﴿لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾، [المنافقون: ٧]، وقولهم: ﴿لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، [المنافقون: ٨]، وليس المقصود هنا حادثة واحدة ابتغوا فيها الفتنة، بل لهم حوادث متكررة ابتغوا فيها الفتنة والإفساد.

﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأمُورَ﴾.

المراد بالأمور هنا الحيل والمكايد؛ أي: ودبروا لك الحيل والمكايد، وأجالوا الآراء ليطفئوا نور الله تعالى، ويطمسوا معالم الإسلام.

﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

أي: حتى جاء نصر الله تعالى، وظهر دين الله تعالى على الدين كله، على رغم منهم، ودان له القاصي والداني، وهم كارهون لظهوره.

الأساليب البلاغية:

الاستعارة التبعية في قوله: ﴿وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾، قال الطيبي: شبه سرعة إفسادهم لذات البين بالنمائم بسرعة سير الركائب، ثم استعير لها الإيضاع، وهو للبعير، وأصل الاستعارة: ولأوضعوا ركائب نمائمهم خلالكم، ثم حذف النمائم، وأقيم المضاف إليه مقامها.[1]

١ - فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) (٧/ ٢٦٢)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٤٩

سبب نزول هذه الآية:

قال العلماء نزلت هذه الآية في الجد بن قيس المنافق، روى ابن جرير عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَيَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَغَيْرِهِمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَازِهِ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ أَخِي بَنِي سَلَمَةَ: «هَلْ لَكَ يَا جَدُّ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ تَأْذَنُ لِي وَلَا تَفْتِنِّي؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي مَا رَجُلٌ أَشَدُّ عَجَبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَنْهُنَّ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ: «أَذِنْتُ لَكَ»، فَفِي الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾.[1]

ولما نزلت هذه الآية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لبني سلمة وكان الجد منهم: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟» قُلْنَا: جدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَّا نُبَخِّلُهُ، قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ».[2]

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾.

يقول الجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ائذَن لِي في التخلف عن الجهاد معك، ولا تفتني يعني: ببنات الروم.

﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾.

يدعي الورع والتقوى كذبًا وزورًا، ويخشى من الافتتان ببنات الروم، ولا يريد إلا القعود عن الجهاد في سبيل الله، فكان ما وقع فيه من الفتنة والتعرض لسخط الله تعالى أعظم مما أراد الفرار منه بزعمه، كما قيل: فر من الموت وفي الموت وقع.

---

١ - رواه ابن جرير تفسير الطبري ط: هجر (١١/ ٤٩٢)، وابن أبي حاتم- حديث رقم: ٩٦٠٠

٢ - رواه البخاري في الأدب المفرد- بَابُ الْبُخْلِ، حديث رقم: ٢٩٦

وقال تعالى: ﴿سَقَطُوا﴾، ولم يقل: سقط؟ لأنها تشمل الجد بن قيس ومن كان على شاكلته.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

وعيدٌ للمنافقين بإن جهنم محدقة بهم ليس لهم منها فكاك، ولا لهم عنها مفر.

ووضع الظاهر موضع المضمر، ولم يقل: (وإن جهنم لمحيطة بهم)، لإثبات الكفر عليهم.

الأساليب البلاغية:

التحقيق بتقديم أداة التنبيه (ألا)، في قوله: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾.

والتخصيص بتقديم الظرف على عامله في قوله: ﴿فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾.

والاستعارة في قوله: ﴿فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾، شبه ذلك الكون بالسقوط في عدم التهيؤ له وفي المفاجأة باعتبار أنهم حصلوا في الفتنة في حال أمنهم من الوقوع فيها، فهم كالساقط في هوة على حين ظن أنه ماش في طريق سهل.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، جملة معترضة.

والكناية في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾؛ فالإحاطة كناية عن عدم الإفلات من عذابها.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، وما قال:(وإن جهنم لمحيطة بهم)؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٥٠، ٥١

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: من أمارات كفر أولئك المنافقين أنهم إن أصابك خير وتجددت لك نعمة بنصر وغنيمة ساءهم ذلك وكرهوه، وإن أصابك شر وبلاء بقتل في أصحابك، أو هزيمة لجيشك قالوا: قد أخذنا حذرنا من قبل من قبل أن تصبه تلك المصيبة، فلم نخرج للقتال معهم، ويعرضوا عنك بعد ذلك وهم مسرورون بما أصابك من البلاء، وبما حل بأصحابك من القتل.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾.

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك، وفرحوا بما أصابك من البلاء: ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، لن يصيبنا شيء من البلاء شوكة فما فوقها إلا بتقدير كتبه الله تعالى لنا قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وإنما قال: (لنا)، ولم يقل: (علينا)، لبيان أن قضاء الله تعالى خير لنا على كل حال، ولن يقدر الله تعالى لنا إلا ما فيه خير لنا في عاجل أمرنا وآجله.

﴿هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

تقديم الضمير ﴿هُوَ﴾، للاختصاص؛ أي: هو ربنا وسيدنا وناصرنا لا رب لنا سواه ولا ناصر لنا غيره، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وعلى الله تعالى وحده نتوكل ولا نتوكل على أحد سواه، وتقديم الجار والمجرور ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾، لقصر التوكل على الله تعالى وحده.

الأساليب البلاغية:

الكناية في قوله: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾؛ فإن الحسنة كناية عن النصر والغنيمة، والمصيبة كناية عن الانكسار والهزيمة.

والمقابلة في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾.

تقديم الضمير في قوله: ﴿هُوَ مَوْلانَا﴾، للتخصيص؛ أي: لا مولى لنا سواه.

تقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ لإفادة القصر.

ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ لما للفظ الجلالة من المهابة والجلال في النفوس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلَاّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢) قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ (٥٣) وَما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلَاّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَاّ وَهُمْ كُسالى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَاّ وَهُمْ كارِهُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٥٢- ٥٤

﴿تَرَبَّصُونَ﴾: أصلها تتربصون، والتربص: المكث والانتظار، و ﴿الْحُسْنَيَيْنِ﴾: تثنية الحُسنى، والحسنى: تأنيث الأحسن.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين يضمرون لكم العداوة والبغضاء، ويتربصون بكم الدوائر، قل لهم: هل تنتظرون بنا إلا أن تصيبنا إحدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما: الغنيمة والفتح، أو الشهادة والمغفرة؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ».[1]

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينا﴾.

ونحن ننتظر أن يصيبكم الله بعذاب من عنده كما أصاب من سبقكم من الأمم الخالية الذين تمردوا على أمر الله تعالى وكذبوا رسله، ﴿أَوْ بِأَيْدِينا﴾، إن أظهرتم ما في قلوبكم من الكفر.

﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾.

تهديد ووعيد لهم، والمراد فانتظروا ما تؤول إليه عاقبتنا، فإنا ننتظر ما تؤول إليه عاقبتكم.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ﴾.

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ فَرْضِ الْخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أُحِلَّتْ لَكُمُ الْغَنَائِمُ، حديث رقم: ٣١٢٣، ومسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللهِ، حديث رقم: ١٨٧٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمر في معنى الخبر، والمراد: ﴿لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾، ما أنفقتم طوعًا أو كرهًا؛ كما في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ﴾ [التوبة: ٨٠].

﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ﴾.

بيان للعلة التي من أجلها لم يقبل الله تعالى نفقاتهم، وهي خروجهم عن طاعة الله تعالى وتمردهم على أوامره تعالى.

﴿وَما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلَاّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾.

لما أخبر الله تعالى أن علة عدم قبول نفقاتهم الفسق والخروج عن طاعة الله تعالى، استثنى السبب الأعظم الذي من أجله حرموا القبول وهو الكفر بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم، فكان هذا استثناءً من عموم فسقهم، وشرط قبول الأعمال الإيمان بالله تعالى.

﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَاّ وَهُمْ كُسالى﴾.

أي: ومن أسباب حرمان قبول النفقات التكاسل عن الصلاة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾.[1]

﴿وَلا يُنْفِقُونَ إِلَاّ وَهُمْ كارِهُونَ﴾.

أي: ولا ينفقون أموالهم ابتغاء رضوان الله، بل لا يعطونها إلا رغمًا عنهم.

الأساليب البلاغية:

الطباق بين: (طَوْعاً) و (كَرْهاً).

---

١ - سورة النساء: الآية/ ١٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٥٥

الإعجاب بالشيء: أن يسرّ به سرورَ راضٍ به متعجبٍ من حسنه.

الفاء في قوله: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ﴾. للإفصاح لأنها تفصح عن شرط مقدر يقتضيه سياق البيان، أي: إن كانت هذه الأموال لَا ينفقونها في سبيل الله فلماذا يعطونها.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: لا تستحسن ما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا، وما عندهم من الأموال والأولاد؛ فإن الأموال والأولاد ليست سببًا للطمأنينة والسكينة، كما أنها ليست دليلا على محبة الله تعالى لهم، بل أعطاهم الله الأموال والأولاد لتكون المصيبة على سلب الأموال، وفقد الأولاد أعظم، ويكون ذلك عذابًا لهم يعذبهم الله تعالى به في الحياة الدنيا؛ لأنهم لا يؤجرون على المصائب؛ وهذه الآية كقول الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾.[1]

وعطف الأولاد بإعادة حرف النفي بعد العاطف لبيان أن النهى عن الإعجاب بكل واحد منهما، ولزيادة بيان عدم انتفاعهم بكل ما هو مظنة أن ينتفع به الناس.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

اللام في: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، للتعليل، أي: ما يريد الله باعطائهم الأموال والأولاد إلا العذاب بها في الحياة الدنيا.

﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

الزُّهُوقُ: الخروج بصعوبة، يقال: زهق السّهم: إذا جاوز الهدف، ويطلق الزُّهُوقُ ويراد به الهلاك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾.[2]

---

١ - سورة المؤمنون: الآية/ ٥٥، ٥٦

٢ - سورة الإسراء: الآية/ ٨١

والمعنى: وتخرج أرواحهم من أبدانهم فيهلكون وهم كافرون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٥٦، ٥٧

يخبر الله تعالى عن المنافقين إذا لقوا الذين آمنوا قال: ويحلف المنافقون لكم أيها المؤمنون إنهم لمنكم؛ أي: من أهل دينكم وملتكم، وأكدوا ذلك بالحلف بالله تعالى، وإن التي تفيد التوكيد، ولام التوكيد، وما فعلوا ذلك إلا خشية افتضاح أمرهم، كما قيل: (كاد المريب أن يقول خذوني)، وخداعًا للمؤمنين الذين لا يعلمون حالهم؛ كما قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَما يَخْدَعُونَ إِلَاّ أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ﴾.[1]

﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.

لما حاولوا خداع المؤمنين بالأيمان الكاذبة قال الله تعالى محذرًا المؤمنين منهم: ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾، أي: ليسوا من أهل دينكم وملتكم.

الفرق: الفزع وشدة الخوف، وكان هذا الفزع هو الحامل لهم على الأيمان الكاذبة، وسبب خوفهم هو اطلاع المؤمنين على كيدهم للإسلام وأهله.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا﴾.

الْمَلجأُ: المكان الذي يتحصن فيه، والمغارات: جمع مغارة، وهي الثقب في الجبل، ويقال لها الغار؛ لأن من يدخله يختفي فيه عن الأنظار.

يخبر الله تعالى عن حال هؤلاء المنافقين أنهم لشدة خوفهم من افتضاح أمرهم يودوا لو أنهم يجدون ملجأ يلجأون إليه، أو مغارات يختفون فيها عن أعين المؤمنين، ﴿أَوْ مُدَّخَلا﴾، الْمُدَّخَلُ هو النفق في الأرض.

﴿لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾.

---

١ - سورة البقرة: الآية/ ٩

التولي هو الإعراض، والجموح: شدة النفور، ومنه قولهم: فرس جموح إذا أسرع ولم يرده شيء.

وَقَالَ الزّجاج: وهم يَجْمَحُون. قَالَ: يسرعون إسراعًا لَا يَرُدُّ وجوهَهم شَيْء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٥٨، ٥٩

يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ومن المنافقين الذين تقدم وصفهم في هذه الآيات: ﴿مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، أي: ومن المنافقين من يعيبك في أمرها وقسمتها، واللمز، هو العيب، وقيل: الفرق بين اللمز والهمز، أن اللمز يكون طعنًا باللسان من الخلف، والهمز يكون استهزاءً باليد والعين في الوجه؛ ومنعه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.[1]

سبب نزول الآية:

نزلت هذه الآية في ذي الخويصرة التميمي، واسمه حرقوص بن زهير، وهو أصل الخوارج؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «بَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا، فَقَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ. قَالَ: وَيْلَكَ، مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: لَا، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ».[2]

وعن عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «قَسَمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قِسْمَةً كَبَعْضِ مَا كَانَ يَقْسِمُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: وَاللهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، قُلْتُ:

---

١ – سُورَةُ الهُمَزَة: الآية/ ١

٢ – رواه البخاري– كتابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، حديث رقم: ٣٦١٠، ومسلم– كتاب الزكاة، بَاب ذِكرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِم، حديث رقم: ١٠٦٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَمَّا أَنَا لَأَقُولَنَّ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَغَضِبَ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَبَرَ».[1]

﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.

أي: إن أعطاهم النبيُّ عليه السلام منها ما أرادوا رضُوا بذلك، وإن لم يعطهم منها تسخطوا وطعنوا عليه، و(إذا) هنا الفجائية، فرضاهم وسخطهم للدنيا وليس لله تعالى.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

ولو أن هؤلاء المنافقين رضوا بما قسمه الله تعالى لهم من الرزق، وما أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من العطاء، وجواب لو محذوف، والتقدير: لكان خيرًا لهم.

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾.

أي: وقالوا يكفينا الله تعالى وحده، وهو نعم الوكيل، سيرزقنا الله تعالى من فضله العميم، بما يجريه على يدي رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن رغبتنا إلى الله تعالى، ونحن مفتقرون إلى جميل عطائه، لا غنى لنا عن بركته تعالى.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، حديث رقم: ٦١٠٠، ومسلم- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، حديث رقم: ١٠٦٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٦٠

مناسبة الآية لما قبلها:

قال ابن كثير: لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَاضَ الْمُنَافِقِينَ الْجَهَلَةِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَلَمْزَهُمْ إِيَّاهُ فِي قَسْمِ الصَّدَقَاتِ، بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَسَمَهَا وَبَيَّنَ حُكْمَهَا، وَتَوَلَّى أَمْرَهَا بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قَسْمَها إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ، فَجَزَّأَهَا لِهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ.[1]

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

﴿إِنَّمَا﴾ هنا تقتضي حصر الصدقات والمراد بها الزكاة في هذه الأصناف الثمانية، ونفي الزكاة عما عدا هذه الأصناف، فلا يجوز أن يعطى شيء منها لغيرهم؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ».[2]

والفقراء جمع فقير وهو من لا يجد شيئًا مشتق من كَسْرِ الفَقَار، وهو نهايةُ الاضطرار، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾، جمع مسكين، وهو الذي سكَّنه الفقر، أي قلل حركته، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾، وهم السعاة الذين يعملون في جمع الزكاة من أهلها ووضعها في حقها، فيعطون من مال الصدقة، فقراء كانوا أو أغنياء، ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾، وهم أقسام: فمنهم من من يعطى ليسلم إذا كان يرجى إسلامه؛ كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين، وقد كان لا يزال مشركًا؛ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: «غَزَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه

---

١ – تفسير ابن كثير– ت: سامي السلامة (٤/ ١٦٥)

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٦٥٣٠، وأبو داود– كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ مَنْ يُعْطِي مِنَ الصَّدَقَةِ، وَحَدُّ الْغِنَى، حديث رقم: ١٦٣٤، والترمذي– أَبْوَابُ الزَّكَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَنْ لَا تَحِلُّ لَهُ الصَّدَقَةُ، حديث رقم: ٦٥٢، وابن ماجه– كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ مَنْ سَأَلَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، حديث رقم: ١٨٣٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسلم غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ».[1]

ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه، ويثبت على دين الله تعالى؛ فعَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: أَوْ مُسْلِمًا. فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: أَوْ مُسْلِمًا. ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ: يَا سَعْدُ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللهُ فِي النَّارِ».[2]

كما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر، وعلقمة بن علاثة، وزيد الخير، ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه، ومنهم من يعطى ليجبي الصدقات ممن يليه، ومنهم من يعطى ليدافع عن ثغور المسلمين في أطراف البلاد.

واختلف العلماء في هذا الصنف من أصناف الزكاة بعد النبي صلى الله عليه وسلم هل يعطوا من الزكاة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم، أو يمنعوا لتمكن الإسلام وقوة المسلمين

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابٌ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا، وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ، حديث رقم: ٢٣١٣

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابٌ: إِذَا لَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَانَ عَلَى الِاسْتِسْلَامِ أَوِ الْخَوْفِ مِنَ الْقَتْلِ، حديث رقم: ٢٧، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ تَأَلُّفِ قَلْبِ مَنْ يَخَافُ عَلَى إِيمَانِهِ لِضَعْفِهِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْقَطْعِ بِالْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ قَاطِعٍ، حديث رقم: ١٥٠

على قولين، وكان عمر رضي الله عنه يرى أنهم لا يعطون من الزكاة لعدم حاجة المسلمين إليهم.

﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: وفي فك الرقاب، قال ابن عباس: يريد: المكاتبين.

قال الزهري: سهم الرقاب نصفان، نصف لكل مكاتب ممن يدعى الإسلام، والنصف الباقي تستوي فيها رقاب من صلى وصام وقدم إسلامه من ذكر وأنثى يعتقون.[1] رواه ابن المنذر

﴿وَالْغَارِمِينَ﴾.

الغارمون منهم من تحمل حمالة أو ضمن دينًا فلزمه فأجحف بماله، ومنهم من ركبته الديون، ومنهم من أصابته جائحة فأذهبت ماله؛ قال مجاهد: هؤلاء قوم أحرقت النار دورهم، وأذهب السيل أموالهم فادانوا لنفقاتهم؛ فعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ قَالَ: «تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَسْأَلُهُ فِيهَا فَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ، حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ، - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا».[2]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «أُصِيبَ رَجُلٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي ثِمَارٍ ابْتَاعَهَا فَكَثُرَ دَيْنُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: تَصَدَّقُوا عَلَيْهِ.

---

١ - رواه ابن المنذر انظر كتاب الإشراف على مذاهب العلماء (٣/ ٩٢)

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْوَضْعِ مِنَ الدَّيْنِ، حديث رقم: ١٥٥٦

فَتَصَدَّقَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَبْلُغْ ذَلِكَ وَفَاءَ دَيْنِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِغُرَمَائِهِ: خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ».[1]

﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي: الغزاةِ المحتاجين، وإن كانوا أغنياءَ في بلدهم، ولا رواتب لهم في بيت المال.

﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

أي: الغريبِ المجتاز في بلد وليس معه شيء يستعين به على سفره، فيعطى من الصدقات ما يكفيه إلى بلده، وإن كان له مال في بلده

﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾.

أي: حكمًا فرضه الله تعالى، وانتصب ﴿فَرِيضَةً﴾؛ لأنه في معنى المصدر المؤكد، وتقديره: فرض الله الصدقات فريضةً.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

أي: والله عليم بما يصلح عباده، حيم في حكمه وتشريعه.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْوَضْعِ مِنَ الدَّيْنِ، حديث رقم: ١٥٥٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٦١

يقول تعالى: ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون عنه ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾، كناية عن تصديقه بكل ما يسمع من دون تمييز بين المقبول والمردود، ومرادهم أن من قال له شيئًا سمعه، ومَن حدَّثه بشيء صدَّقه، ويقبل عذر من يعتذر إليه بغير تحقق.

وكان صلى الله عليه وسلم يستمع لكل من حدثه لكرمه وشرفه وحُسن خلقه، وإنما عَدَّ المنافقون ذلك عيبًا لسوء نيتهم وفساد طويتهم، وانتكاس فطرتهم.

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾.

أي: قل لهم يا محمد: إن يستمع إلى من يحدثه خيي من الذي لا يستمع إلى أحدٍ كبرًا، والذي يقبل العذر خيرٌ ممن لا يقبله، فكيف تؤذونه وتعيبونه؟!

وقوله: ﴿أُذُنُ خَيْرٍ﴾، من إضافةُ الشيء إلى صفته؛ كقولهم: رجلُ صدقٍ، وشاهدُ عدلٍ.

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

تفسيرٌ لكونه أذنَ خيرٍ لهم، وعدي الإيمان إلى الله بالباء في قوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾؛ لأنه التصديق الذي هو نقيض الكفر، ووجه الخيرية فيه أنه يعامل الناس بما أمره الله به من العفو، والصفح، والإعراض عن الجاهلين، وبأن لا يؤاخذ أحدًا بالظنة، فالناس يأمنون جانبه، ولا يخشون غائلته.

وعدي الإيمان إلى المؤمنين باللام لتضمنه معنى التسليم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١١١]، وقوله: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾.[1]

١ - سورة الشعراء: الآية/ ٤٩

﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾.

لأنه يجري أمركم على الظاهر، ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم، ولا يسعى في هتك أستاركم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الخصال السامية، والشمائل الشريفة، يعفو ويصفح، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقابل الإساءة بالإحسان، ويعرض عن الجاهلين، ولا يؤاخذ بالظنة، بيَّنَ الله وتعالى أن من قابل ذلك الإحسان بالإساءة، كان متبلد الحس، منعدم الشعور، فاستوجب العذاب الأليم جزاءً وفاقًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٦٢، ٦٣

سبب نزول الآية:

روى ابن جرير عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾، [التوبة: ٦٢] الْآيَةَ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَخِيَارُنَا وَأَشْرَافُنَا، وَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا، لَهُمْ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، قَالَ: فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقٌّ، وَلَأَنْتَ شَرٌّ مِنَ الْحِمَارِ، فَسَعَى بِهَا الرَّجُلُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ فَدَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي قُلْتَ؟» فَجَعَلَ يَلْتَعِنُ وَيَحْلِفُ بِاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ: وَجَعَلَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ صَدِّقِ الصَّادِقَ وَكَذِّبِ الْكَاذِبَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾، [التوبة: ٦٢].[١]

وَقَالَ السُّدِّيُّ: اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِيهِمْ جُلَاسُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ، وَوَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ فَأَرَادُوا أَنْ يَقَعُوا فِي النبي صلى الله عليه وسلم وَعِنْدَهُمْ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُدْعَى عَامِرَ بْنَ قَيْسٍ، فَحَقَّرُوهُ فَتَكَلَّمُوا وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ كان ما يقوله مُحَمَّدٌ حَقًّا لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ. فغضب الغلام فقال: وَاللَّهِ إِنَّ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقٌّ وَإِنَّكُمْ لَشَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، ثُمَّ أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرَهُ، فَدَعَاهُمْ فَسَأَلَهُمْ فَحَلَفُوا أن عامراً كذاب، وَحَلَفَ عَامِرٌ أَنَّهُمْ كَذَبَةٌ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تُفَرِّقْ بَيْنَنَا حَتَّى تُبَيِّنَ صِدْقَ الصَّادِقِ مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ. فَنَزَلَتْ فِيهِمْ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ وَنَزَلَ قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾.[٢]

١ – تفسير الطبري جامع البيان– ط: هجر (١١: ٥٤٠)

٢ – أسباب النزول– ت: زغلول (ص: ٢٥٥)

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾.

يقول تعالى للمؤمنين: يحلف هؤلاء المنافقون بالله لكم ليرضوكم، ويزيلوا سخطكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وذكرهم إياه بالسوء، والعيب له.

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

أي: إن كانوا مؤمنين كما يزعمون فأحق من أرضوه الله تعالى ورسوله بالإيمان بالله والطاعة لله والرسول، وترك الطعن والعيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ووحد الضمير في قوله: ﴿يُرْضُوهُ﴾؛ لأن رضا الرسول رضا لله تعالى، وقيل: الضمير يرجع إلى لفظ الجلالة، وعطف عليه ما بعده، ويكون العطف من عطف الجمل؛ وتقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾.

المحادّة مفاعلة من الحدّ كالمشاقة من الشقّ، أي: ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنه من حارب الله ورسوله وخالف أمرهما فإن مصيره إلى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا؟

﴿ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.

الخزيُ: الهوان بما يُستحيَى مِن مثله، ومن كان هذا شأنه فقد افتَضَح أبلغَ الافتضاح، وبلغ غايةَ الذل والهوان.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٦٤

يقول الله تعالى محذرًا المنافقين ومهددًا بهتك أستارهم وفضح اسرارهم: يحذر هؤلاء المنافقون، ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾، فهو خبر بمعنى الأمر؛ أي: يخشى المنافقون أَنْ تُنَزَّلَ في شأنهم سورة؛ فإن ما نزل في حقهم نازلٌ عَلَيهِم.

وقيل: إنه إخبار عنهم؛ لأنهم كانوا يستهزئون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم؛ قال مجاهد: يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله ألا يفشي سرنا علينا.

وقيل: كانوا يظهرون الحذر استهزاءً.

وعدي الفعل بعلى لأنها في حقهم نائة وداهية تصيبهم بهتك سترهم.

وقيل: الضمير في عليهم عائد على المؤمنين؛ أي: تُنَزَّلَ على المؤمنين سورة من القرآن خاصة بالمنافقين.

﴿تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

أي: بما في قلوب المنافقين من الكفر والحسد والعداوة للمؤمنين.

﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

أمر المراد به التهديد؛ لأنهم كانوا يظهرون الحذر استهزاءً كما تقدم.

﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾

أي: إن الله مظهر ما كنتم تحذرون أن تظهروه أيها المنافقون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٦٥

سبب نزول الآية:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلاءِ لَا أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لأُخْبِرَنّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَنَزَلَ الْقُرْآنُ قال عبد الله فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن.[1]

وعَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تستهزؤن قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَتِهِ إِلَى تَبُوكَ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أُنَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَقَالُوا: أَيَرْجُو هَذَا الرَّجُلُ أن يفتح قُصُورَ الشَّامِ وَحُصُونَهَا؟! هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!، فَأَطْلَعَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: احْتَبِسُوا عَلَى الرَّكْبِ فَأَتَاهُمْ فَقَالَ: قُلْتُمْ كَذَا، قُلْتُمْ كَذَا، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ مَا تَسْمَعُونَ.[2]

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

الخوض لغة: الدخول في مائع، والمراد به هنا الكلام بلا بصيرة، ولا بينة.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ولئن سألت هؤلاء المنافقين عما تكلموا به من السخرية والاستهزاء وعما خاضوا فيه من الباطل ليقولن لك: إنما كنا نلهو ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به الطريق.

---

١ - رواه ابن أبي حاتم- حديث رقم: ١٠٠٤٧، والواحدي- حديث رقم: ٥١٣

٢ - رواه ابن أبي حاتم- حديث رقم: ١٠٠٤٩، والواحدي- حديث رقم: ٥١١

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: أبالله وكتابه ورسوله كنتم تستهزؤن، والاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٦٦

الاعتذار عبارة عن محو أثر الذنب، وأصله القطع، واعتذرت إليه قطعت ما في قلبه من الموجدة.

والنهي عن الاعتذار هنا على حقيقته، فالله تعالى ينهاهم عن الاعتذار؛ لأنه يؤدي إلى أن يقعوا في ذنب أشد مما يعتذرون عنه بسبب ما هم عليه من النفاق.

وفي الكلام بيان لعلة النهي عن الاعتذار، وهي الكفر بعد الإيمان، وفيه بيان أن الاستهزاء بشيء من دين الله تعالى كفر أكبر.

﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

الطائفة مؤنث الطائف، من الطواف حول الشيء، والطائفة من الناس الجماعة منهم، والطائفة من الشيء القطعة منه، والطائفة الجماعة وأقلها ثلاثة على قول الجمهور في الجمع.

أي: إن نترك عقوبة طائفة منكم بإحداثهم التوبة، وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق، نعاقب طائفة منكم بإصرارهم على الكفر، واستمرائهم النفاق.

قال العلماء: عني بالطائفة في هذا الموضع رجل واحد؛ وهو مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ الْأَشْجَعِيُّ، فيكون من باب إطلاق لفظ الجماعة على الواحد.

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ: لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاضَى عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِائَةً مِائَةً عَلَى أَنْ نَنْجُوَ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرَكِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا، فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ هُمْ أَنْكَرُوا وَكَتَمُوا، فَقُلْ: بَلَى، قَدْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، فَأَدْرَكَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: الَّذِي أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجَاءُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْتَذِرُونَ، وَقَالَ مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ لَا تَعْتَذِرُوا قَدِ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً فَكَانَ الَّذِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُ: مَخْشِيُّ بْنُ حِمْيَرٍ، فَتَسَمَّى: عَبْدَ

الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يَعْلَمُ بِمَقْتَلِهِ فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ لَا يَعْلَمُ مَقْتَلَهِ وَلا مَنْ قَتَلَهُ وَلا يُرَى لَهُ أَثَرٌ وَلا عَيْنٌ.[1]

والباء في ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾، للسببية، والمراد بـ ﴿مُجْرِمِينَ﴾ كافرين.

١ – رواه ابن أبي حاتم– حديث رقم: ١٠٤٠٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٦٧، ٦٨

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما تقدم قول الله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾. [التوبة: الآية/ ٥٦]، بين الله تعالى هنا أن المنافقين والمنافقات ذكرهم وأنثاهم على ملة واحدة، وأنهم سواء في الحكم والمنزلة والكفر، يوالي بعضهم بعضًا، ويشبه بعضهم بعضًا.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾.

يخبر الله تعالى عن المنافين والمنافقات الذين يظهرون الإسلام ويسرون الكفر، أنهم صنف واحد، وعلى ملة واحدة يوافق بعضهم بعضًا على الكفر، ويجمعهم العداء لدين الله تعالى، والطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيذاء المؤمنين.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾.

لما انتكست فطرتهم، رأوا الحق باطلًا والباطل حقًّا والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا، فيأمرون بالمنكر كالكفر والمعاصي يحسبونه معروفًا، وينهون عن المعروف كالإيمان والطاعات يظنونه منكرًا، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، كناية عن الشح والبخل، كما أن بسط اليدين كناية عن الجود؛ فهم يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، ولا ينفقون إلا وهم كارهون.

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

أي: تركوا طاعة الله تعالى، فلا يذكرونه، ولا يعبدونه، فتركهم الله تعالى، وخذلهم فلا حظ لهم ولا نصيب من توفيق الله تعالى، والنسيان لغة الترك، ومنه قول النابغة:

كَأَنَّـهُ خَارِجًـا مِـنْ جَنْـبِ صَـفْحَتِهِ ***** سَـفُّودُ شَـرْبٍ نَسُـوهُ عِنْـدَ مُفْتَـأَدِ

أي: تركوه مكان الشّيّ.

والجزاء من جنس العمل، كما قال تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾.[1]

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

أي: إن المنافقين هم الخارجون عن الإيمان وطاعة الله تعالى، وتقديم الضمير ﴿هُمُ﴾. لقصر الحكم؛ أي: هم الفاسقون الذين بلغوا الغاية في الفسق والتمرد على أمر الله تعالى.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

وعيد من الله تعالى لهم على كفرهم وفسوقهم، بالمكث الدائم مع الكفار في النار.

﴿هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

أي: هي كافِيَتُهم جزاءً على كفرِهم، ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾، أي: وطردهم الله من رحمته، وهم مع ذلك لهم عذاب دائم في النار لا ينقطع.

---

١ - سورة الْجَاثِيَة: الآية/ ٣٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالا وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٦٩

لما قال الله تعالى للمنافقين الذين سخروا من النبي صلى الله عليه وسلم، واستهزؤا بأصحابه رضي الله عنهم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾. [التوبة: ٦٥]، بين الله تعالى لهم هنا أنهم فعلوا كما فعلت الأمم السابقة الذين كفروا بالله تعالى وكذبوا الرسل وسخروا منهم؛ والمعنى: أتستهزئون، كما فعل الذين من قبلكم من الأمم الذين استهزوا برسلهم فأهلكهم الله في الدنيا، مع ما ينتظرهم من العذاب والنكال في الآخرة؛ كما قال الله تعالى عنهم: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.[١]

﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: منعةً وبطشًا.

﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالا وَأَوْلادًا﴾.

وكانوا يتبجحون بذلك ويفاخرون بما عندهم من الأموال والأولاد؛ كما قال تعالى عنهم: ﴿وَقالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالاً وَأَوْلاداً وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥]، وغفلوا عن كونها من الله تعالى.

﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾.

---

١ - سورة الذاريات: الآية/ ٥٢

الخلاق: الحظ والنصيب؛ أي: فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من اللذات في الدنيا، ورضوا بذلك عوضًا من نصيبهم في الآخرة، يقول تعالى للمنافقين: وقد سلكتم سبيلهم واستمتعتم بنصيبكم كما استمتع الغابرون من الأمم البائدة بنصيبهم.

﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾.

أي: وخضتم أيها المنافقون بالباطل والكذب والسخرية والاستهزاء، والطعن والغمز واللمز، كخوض تلك الأمم السابقة، ولم تعتبروا بما حل بهم من السخط، ولا ما أصابهم من العذاب.

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

أولئك حبطت أعمالهم لأنهم رضُوا بالحياة الدنيا من الآخرة، فبَطَلَتْ أعمالهم فلا ينتفعون بها في الدنيا ولا في الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾.[1]

والحبط داء تنتفخ له أجواف الدواب، فيكون سبب هلاكها.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

لأنهم خسروا دنياهم وأخراهم وخسروا أنفسهم وأهليهم، وتقديم الضمير المنفصل للقصر؛ أي: لا خاسر إلا هؤلاء.

الأساليب البلاغية:

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ للتشديد عليهم بالتقريع والتهديد.

الإطناب في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾؛ والغرض منه الذم والتوبيخ لاشتغالهم بالخسيس الفاني، عن النفيس الباقي.

---

١ - سورة الإسراء: الآية/ ١٨

حذف الإيجاز في قوله تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾، وتقديره: وخضتم في مستنقع الباطل، والكفر، والضلال، والعناد خوضًا كائنًا كالخوض الذي خاضوه تمامًا.

الاستعارة في قوله: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، والمراد فسدت أعمالهم فبطلت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٧٠

هذا سؤال الغرض منه التقرير والتوبيخ لهؤلاء المنافقين الذين فعلوا كما فعلت الأمم السابقة، ولم يعتبروا بمصارعهم، ولم يخشوا أن يصيبهم ما أصابهم، فإنهم يقتفون آثارهم في الكفر والضلال، والسخرية والتكذيب لرسل الله عليهم السلام.

يقول الله تعالى: مخاطبًا المؤمنين عن هؤلاء المنافقين: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، تقريرًا للمؤمنين، وتحذيرًا لهم أن لهم أن يصدر منهم ما صدر من هؤلاء المنافقين، والكلام فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، إعراضًا عن أولئك المنافقين، ويكون الكلام من باب إياك أعني واسمعي يا جارة، على سبيل التقريع والتوبيخ، والمعنى: ألم يبلغهم خبر الذين من قبلهم، وشاهدوا آثار إيقاع الله بهم، بما جعلهم نكالًا وعبرةً لغيرهم.

﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾، وما أصابهم من الغرق العام بالطوفان الذي عم الأرض كلها.

﴿وَعَادٍ﴾، الذين أهلكهم الله تعالى بالريح الصَّرصَر العاتية، لما كذبوا نبيهم هود عليه السلام، ﴿وَثَمُودَ﴾، الذين أهلكهم الله تعالى بالصيحة لما كذبوا نبيهم صالحًا عليه السلام، وعقروا الناقة، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾، ومنهم النمرود بن كنعان الذي ادعى الربوبية وقال: أنا أحي وأميت فأهلكهم الله تعالى، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾، الذين أهلكهم الله تعالى بعذابِ يوم الظلة لما كذبوا نبيهم شعيبًا عليه السلام، ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾، أي: المنقلِبات، جمع مؤتفكة، جعَل اللهُ عاليَها سافلَها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل، وهي قرى قوم لوط منها سدوم وعمورية، وأهلكهم الله بتكذيبهم رسولَ الله لوطًا عليه السلام، وإتيان الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحات، والبراهين الساطعات، على توحيد الله تعالى، وعلى صدق رسله عليهم السلام، فكفروا بالله تعالى، وكذبوا رسله.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

أي: لا يعذب قومًا إلا بعد الإعذار، كما قال تعالى: ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]، قال ابن عباس: ليهلكهم حتى يبعث إليهم نبيًا ينذرهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٧١

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى المنافقين والمنافقات وبالغ في ذكر صفاتهم الذميمة وأفعالهم الخبيثة بقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ.....﴾ [التوبة: ٦٧]، أتبع ذلك بذكر المؤمنين والمؤمنات وذكر صفاتهم المحمودة، وأفعالهم الطيبة ليتبين حال الفريقين فبضدها تتبين الأشياء.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

والولاية لغة: مصدر الوَلِيُ: وهو القربُ والدنوُّ. يقال: تباعَدَ بعد ولِي. ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وكلْ مما يَليكَ". أي: مما يقاربك، والولاية ضد العداوة.

يخبر الله تعالى عن المؤمنين والمؤمنات أنهم متوادون متحابون، ألف الإيمان بين قلوبهم، ينصر بعضهم بعضًا، فقال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؛ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».[1]

ولما كانت تلك المعاني منتفية عند المنافقين قال تعالى عنهم: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، فليس بينهم موالاة، ولا مودة ولا مناصرة، بل قلوبهم متنافرة.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

يخبر الله تعالى أن من صفاتهم أنهم: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، امتثالًا لأمر الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

١ - رواه مسلم-كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:١٠٤]؛ أي: يأمرون بالإيمان وطاعة الله ورسوله، وينهون عن الشرك بالله تعالى ومعصية الله ورسوله، لصحة إيمانهم وسلامة فطرتهم.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

أي: يؤدون حق الله، ويحسنون إلى العباد، خلافًا للمنافقين الذين لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون.

﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

بفعل ما أمر، وترك ما نهى عنه وزجر، خلافًا للمنافقين الذين لا يرجون لله وقارًا ولا يوقرون رسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾.

بدخول الجنة والنجاة من النار.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

عزيز لا يغالب، حكيم في أقواله وأفعاله وتدبيره وتشريعاته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٧٢

لما ذكر الله تعالى المؤمنين والمؤمنات وذكر صفاتهم المحمودة، وأفعالهم الطيبة، في مقابل ذكر المنافقين والمنافقات وذكر صفاتهم الذميمة وأفعالهم الخبيثة، ولما قال تعالى عن المنافقين والمنافقات: ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾. ذكر تعالى هنا ما أعده للمؤمنين والمؤمنات في الآخرة.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

يخبر الله تعالى أنه وعد المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار، وقد أتى هذا الوعد في عدة مواضع من كتابه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾.[١]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.[٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: قَالَ اللهُ: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾».[٣]

---

١ – سورة القمر: الآية/ ٥٤، ٥٥

٢ – سورة الطور: الآية/ ١٧، ١٨

٣ – رواه البخاري–كِتَابُ التَّفْسِيرِ، ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾، حديث رقم: ٤٧٧٩، ومسلم–كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، حديث رقم: ٢٨٢٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والأنهار في الجنة لا يعلم عددها إلا الله تعالى ولكن ذكر الله تعالى منها في القرآن أربعة في قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى.....﴾.[1]

﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

أي: ومنازل طيبة هي قصورُ من الدرِّ والياقوت والذهب يسكنونها، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ فَقَالَ عُمَرُ: بِأُمِّي وَأَبِي يَا رَسُولَ اللهِ، أَعَلَيْكَ أَغَارُ».[2]

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ».[3]

﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

أي: تستطيبها نفوس أهل الجنة؛ لحسن بنائها ولما فيها من الجمال الباهر، وأصناف النعيم، وعدن اسم للجنة؛ وهي جنات كثيرة منها الفردوس، والمأوي، والنعيم، والخلد، ودار السلام، ودار المقامة.

---

١ – سورة محمد: الآية/ ١٥

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ فَضَائِلِ الصحابة بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٧٩، ومسلم–كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابٌ: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، حديث رقم: ٢٣٩٤

٣ – رواه البخاري–كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بابٌ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾، حديث رقم: ٤٨٧٩، ومسلم–كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابٌ فِي صِفَةِ خِيَامِ الْجَنَّةِ وَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ فِيهَا مِنَ الْأَهْلِينَ، حديث رقم: ٢٨٣٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».[1]

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

أي: ورضوان من الله أكبر من كل نعيم في الجنة؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ! فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».[2]

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

أي: ما ذكرَ من الجناتِ التي تجري من تحتها الأنهار، وما فيها من المساكن الطيبة، ورضوان الله تعالى، هو الفوز الذي لا فوز بعده.

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ التَّفْسِيرِ، باب قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ حديث رقم: ٤٨٧٨، ومسلم-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ رَبَّهُمْ سبحانه وتعالى، حديث رقم: ١٨٠

٢ - رواه البخاري-كتاب الرقاق، بَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حديث رقم: ٦٥٤٩، ومسلم-كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ إِحْلَالِ الرِّضْوَانِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، حديث رقم: ٢٨٢٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٧٣

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى المنافقين وبالغ في ذكر صفاتهم الذميمة، وبين تعالى أنهم لا يختلفون في حقيقة الأمر عن الكفار المحاربين لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، أمره تعالى بجهادهم جميعًا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، أما جهاد الكفار فبالسيف، واما جهاد المنافقين فباللسان درأً للمفسدة التي يمكن أن تترتب على جهادهم بالسيف، وهي أن يتحدث الناس أن محمدًا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه؛ ولما قَالَ عبد اللَّه بن أُبيّ في غزوة: وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ».[1]

قال ابن عبَّاس: أمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم.

وقال الضحاك: يقول: جاهد الكفار بالسيف، واغلظ على المنافقين بالكلام، وهو مجاهدتهم.

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.

قال ابن عباس: يريد شدة الانتهار لهم، والنظر بالبغضة والمقت.

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بابٌ قَوْلُهُ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ حديث رقم: ٤٩٠٥، ومسلم-كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ نَصْرِ الْأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، حديث رقم: ٢٥٨٤

﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

أي: ومصيرهم ومآلهم جهنم وبئس المآل والمصير.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٧٤

سبب نزول الآية:

روى ابن جرير عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، فِي الْجُلَاسِ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ، أَقْبَلَ هُوَ وَابْنُ امْرَأَتِهِ مُصْعَبٌ مِنْ قُبَاءَ، فَقَالَ الْجُلَاسُ: إِنْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ حَقًّا، لَنَحْنُ أَشَرُّ مِنْ حَمِيرِنَا هَذِهِ الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا، فَقَالَ مُصْعَبٌ: أَمَا وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا قُلْتَ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ أَوْ تُصِيبَنِي قَارِعَةٌ أَوْ أَنْ أَخْلِطَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْبَلْتُ أَنَا وَالْجُلَاسُ مِنْ قُبَاءَ، فَقَالَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْلَا مَخَافَةُ أَنْ أُؤَاخَذَ بِخَطِيئَةٍ أَوْ تُصِيبَنِي قَارِعَةٌ مَا أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: فَدَعَا الْجُلَاسَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا جُلَاسُ أَقُلْتَ الَّذِي قَالَ مُصْعَبٌ؟» قَالَ: فَحَلَفَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تبارك وتعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾.[1]

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾.

يخبر الله تعالى عن المنافقين واستهزائهم بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وطعنهم في دين الله تعالى، ثم كذبهم بأنهم ما قالوا، ثم حلفهم على هذا الكذب، لأنهم لا دين لهم يعصمهم من الكفر، ولا وازع لهم يردعهم عما هم فيه من الضلال.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾.

كلمة الكفر: ما تكلموا به من الطعن في الدّين والاستهزاء بالرسول صلى الله عليه وسلم، حكم عليهم بالكفر بما نكلموا به بعدما حكم بإسلامهم بظاهر إقرارهم.

---

١ - سورة التوبة: الآية/ ٧٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾.

أي: هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سلوك العقبة لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك؛ فعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَخَذَ الْعَقَبَةَ، فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ. فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ، غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِحُذَيْفَةَ: "قَدْ، قَدْ" حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ: "يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟ " فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ. قَالَ: "هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟" قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَيَطْرَحُوهُ".[1]

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

أي: وما ينقمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا، وما للرسول صلى الله عليه وسلم عندهم ذنب إلا أن الله أغناهم ببركته، وهو كلام يقال لمن يقابل الإحسان بالإساءة؛ كما قال الشاعر:

مَـــا نَقِمُـــوا مِـــنْ بَـــنِي أُمَيَّـــةَ إِلَّا ***** أَنَّهُـــــمْ يَحْلُمُـــــونَ إِنْ غَضِـــــبُوا

﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾.

أي: إن يتوبوا إلى الله تعالى من النفاق، والطعن في دين الله والرسول صلى الله عليه وسلم، يتوب الله عليهم، فيكون ذلك خيرا لهم في دنياهم وأخراهم، وروي أن الجلاس حين نزلت الآية قام فاستغفر وتاب لله تعالى.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٣٧٩٢، والبزار– حديث رقم: ٢٨٠٠، بسند حسن

﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

أي: وإن يعرضوا عن الإيمان والتوبة يعذبهم الله تعالى في الدنيا بفضحهم وهتك أستارهم، وفي الآخرة بالنار والعذاب الأليم.

﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾.

أي: وليس لهم من أهل الأرض من يدفع عنهم عذاب الله تعالى، ولا من ينصرهم من بأس الله إن جاءهم.

الأساليب البلاغية:

الجناس المغاير في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

والمقابلة بين (الدنيا و(الآخرة) في قوله تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٧٥- ٧٨

يقول الله تعالى: ومن المنافقين من أعطى لله تعالى عهده وميثاقه لئن رزقه الله تعالى مالًا وأغناه من فضله ليصدقنَّ ولينفقنَّ من هذا المال في وجوه الخير والبر، وليستقيمنَّ على أمر الله تعالى وليكونن من الصالحين.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

فلما أغناهم الله ووسع عليهم من فضله، بخلوا بما رزقهم الله، ومنعوا زكاة أموالهم، وأداروا ظهورهم لما كانوا عاهدوا الله عليه من البذل والإنفاق في وجوه الخير، وأعرضوا عن أحكام الشرع جملة.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

أي: فأخلفهم الله نفاقًا في قلوبهم، وصير عاقبة أمرهم سوء اعتقاد يلازمهم إلى الممات، بما أخلفوا الله ما وعدوه من الإنفاق والبذل، وبما كانوا يتصفون به من الكذب في الأقوال والأحوال والاعتقاد، وتلك آيات المنافقين التي يعرفون بها؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».[1]

١ - رواه البخاري-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ٣٤، ومسلم-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ٥٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».[1]

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾.

يقول الله تعالى عنهم: ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن الله تعالى يعلم ما يضمرونه في أنفسهم وما يتحادثون به فيما بينهم حديث السر من الكيد للإسلام وأهله، والطعن في رسول الله وفي المؤمنين، يتناجون به حتى لا يطلع المؤمنون على ما في أنفسهم من النفاق، والله تعالى لا يخفى عليه شيء، فهو تعالى علام الغيوب، والغيوب جمع غيب، وهو كل ما خفي وغاب عن العيان.

تنبيه: ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب رضي الله عنه، وأنه منع زكاة ماله، وقال ما هذه إلا أخت الجزية، ورووا في ذلك حديثًا باطلا لا يصح، وثعلبة بن حاطب صحابي جليل ممن شهد بدرًا، وقد ألف الحافظ ابن حجر (الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب)، وممن بين قال ببطلان هذه القصة الإمام ابن حزم في المحلى، والكلام في القصة لا يصح سندًا ولا متنًا ولا عقلًا.

الأساليب البلاغية:

منها حذف الاختصار في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ﴾، وتقديره: (ومنهم من عاهد الله قائلًا لئن آتانا من فضله.....)

ومنها: المقابلة في قوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

ومنها: الإطناب في قوله: ﴿لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ﴾ وقوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ لبيان فضله تعالى عليه، وإحسانهم إليهم.

---

١ - رواه البخاري-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ٣٣، ومسلم-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، حديث رقم: ٥٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنها: جناس الاشتقاق بين يعلم وعلام في قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾.

ومنها: اللف والنشر المرتب في قوله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾ فقوله: ﴿بَخِلُوا بِهِ﴾ راجع لقوله: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ وقوله: ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ راجع لقوله: ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٧٩

سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية ما روى عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتِ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ...﴾، الْآيَةَ».[١]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾، [التوبة: ٧٩] قَالَ: جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، فَقَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ: وَاللَّهِ مَا جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمَا جَاءَ بِهِ إِلَّا رِيَاءً، وَقَالُوا: إِنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَغَنِيَّيْنِ عَنْ هَذَا الصَّاعِ.[٢]

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ﴾.

يخبر الله تعالى أن من صفات المنافقين الملازمة لهم، ومن علاماتهم التي تفضحهم، وتدل عليهم طعن المطوعين في الصدقات من المؤمنين، - و ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ أصلها المتطوعين، أدغمت التاء في الطاء لقرب مخرجيهما، والتطوع بالصدقة: هو إعطاء ما لايلزمه لزوم الزكاة - والوقيعة فيهم فلا يسلم منهم من أتى بالكثير ولا يسلم منهم من أتى بالقليل الذي لم يجد غيره، فمن تصدق بالكثير قالوا: ما أراد بهذا إلا الرياء ما أراد بهذا وجه الله، ومن تصدق بالقليل قالوا: لقد كان الله غنيًّا عن صدقة هذا، احتقارًا لما تصدق به.

---

١ - رواه البخاري- كتَابُ الزَّكَاةِ، بَابٌ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ وَالْقَلِيلِ مِنَ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٤١٥، ومسلم- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الْحَمْلِ بِأُجْرَةٍ يُتَصَدَّقُ بِهَا، وَالنَّهْيِ الشَّدِيدِ عَنْ تَنْقِيصِ الْمُتَصَدِّقِ بِقَلِيلٍ، حديث رقم: ١٠١٨

٢ - تفسير الطبري جامع البيان- ط: هجر (١١/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره- حديث رقم: ١٠٥٠٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾.

أي: فيستهزئون بهم، فعاملهم معاملة من سخر بهم، والجزاء من جنس العمل؛ قال ابن إسحاق: وكان الذي تصدق بجهده أبو عقيل، أخو بني أنيف الأراشي حليف بني عمرو بن عوف، أتى بصاع من تمر، فأفرغه في الصدقة، فتضاحكوا به، وقالوا: إن الله لغني عن صاع أبي عقيل.[1]

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي: ولهم عذاب مؤلمٌ في النار، عوقبوا به في مقابلة سخريتهم وضحكهم من المؤمنين.

الأساليب البلاغية:

الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿يَلْمِزُونَ﴾؛ لأن اللمز حقيقة في الإشارة بالعين ونحوها، ثم استعير للسخرية.

الجناس المماثل في قوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾.

التنوين في قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، للتهويل والتفخيم.

---

١ - تفسير الطبري جامع البيان- ط: هجر (١١/ ٥٩٣)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٨٠

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ادع لهؤلاء المنافقين بالمغفرة، أو لا تدع لهم فلن يغفر الله تعالى لهم ولو دعوت الله تعالى لهم بالمغفرة سبعين مرةً؛ وذلك لسوء اعتقادهم، وفساد طويتهم، والكلام في هذه الآية خرج مخرج الأمر ومعناه الخبر؛ أي: الاستغفارُ لهم وتركُه سواء في استحالة المغفرة، وأتى الخبر بصورة الأمر للمبالغة في بيان استوائهما؛ ومثله قوله تعالى: ﴿أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.[١]

ومن أساليب العرب في كلامها ذكر السبعين للمبالغة ولا تريد التحديد بها، والظاهر أن المراد بهذا الكلام التخيير لما روى البخاري ومسلم عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فِيهِ أَبَاهُ فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِيُصَلِّيَ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُصَلِّي عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾. وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ). قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ، قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.[٢]

---

١ - سورة الملك: الآية/ ١٣

٢ - رواه البخاري-كِتَابُ التَّفْسِيرِ، باب: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾، حديث رقم: ٤٣٩٣، ومسلم-كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ، حديث رقم: ٢٧٧٤

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

بيان للعلة التي من أجلها جعل الله تعالى استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم كعدمه.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

لا يهديهم هداية توفيق، لخروجهم عن طاعته، وتمردهم على أمره تعالى.

الأساليب البلاغية:

طباق السلب في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

الإطناب في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾؛ لتأكيد النفي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٨١، ٨٢

المقعد هنا: مصدر بمعنى القعود، و ﴿خِلافَ﴾ مصدر خالف؛ أي: مخالفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أي: بعده والراجح الأول.

يقول تعالى: فرح المنافقون بقعودهم في بيوتهم وتخلفهم عن الخروج إلى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مخالفين له إذ سار وقعدوا، ومؤثرين الدَّعة والراحة على الجهاد في سبيل الله.

﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي: وكرهوا المجاهدة بالمال أي: الإنفاق في سبيل الله، وكرهوا المجاهدة بالنفس أي: مباشرة القتال، استثقالًا للجهاد لكفرهم.

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾.

أي: قالوا مثبطين لغيرهم: ﴿وَلَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾، ومعللين لتخلفهم؛ لأن غزوة تبوك كانت في شدة الحر.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾.

أي: قل لهم يا محمد إن ما ينتظرهم من العذاب في نار جهنم أشدُّ حرًّا مما ثبطوا غيرهم فروا منه، ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: لو كانوا يفهمون، والفقه هو الفهم؛ لأن من لم يتحمل مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك في مشقة أبدية كان أجهل من كل جاهل.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا﴾ هي الفصيحة، لأنها تفصح عن شرط مقدر، تقديره: إن يضحكوا فليضحكوا قليلًا.

والأمر في قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا﴾ و﴿وَلْيَبْكُوا﴾، للوعيد والتهكم، وهو بمعنى الخبر؛ أي: سيضحكون قليلًا ويبكون كثيرًا، والضحك هنا كناية عن السرور والفرح بالقعود عن الجهاد اتقاء للحرّ، فإن الضحك يلازم السرور عادة، وهو مظهر من مظاهره، كما أن البكاء كناية عن الألم؛ لأن البكاء مظهر من مظاهر الألم الشديد.

قال ابن عباس: الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ما شاءوا، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله، عز وجل، استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدًا.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

أي: عاقبهم الله بذلك بسبب معاصيهم ونفاقهم.

الأساليب البلاغية:

منها: المقابلة المعنوية بين قوله: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾. وقوله: ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾؛ لأن الفرح من ثمرات المحبة.

والمقابلة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾، كناية عن كونهم صائرين إلى نار جهنم.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾، كناية عما سيجدونه من الألم الشديد من العذاب في نار جهنم.

الاعتراض التذييلي في قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾؛ لأنه كلام معترض من جهته تعالى، غير داخل تحت القول المأمور به.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٨٣

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: فإن ردك الله يا محمد إلى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه – وإنما قال إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ ولم يقل : (فإن رجعك الله إليهم)؛ لأنّ منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف ومنهم من كان معذورًا بتخلفه – فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة بعد غزوة تبوك، فقل لهم: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾، إخبار في معنى النهي، عوقبوا على تخلفهم عن رسول الله صلى اله عليه وسلم، بالحرمان من مصاحبته في الغزوات، والحرمان من شرف الجهاد في سبيل الله، لفساد طويتهم.

﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

تعليل للنهي عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحرمان من شرف مصاحبته في الغزو، وأول مرة قعدوا عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في غزوة أحد حين تخلف عبد الله بن أُبيّ بن سلول بمن معه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالاً لاتَّبَعْناكُمْ﴾.[1]

﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾.

والأمر هنا للتهكم عليهم، وتعييرهم بأنهم لا غناء لهم في الحرب، والمعنى: فاقعدوا مع النساء والصبيان والمرضى والزمنى.

١ – سورة آل عمران: الآية/ ١٦٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٨٤

سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية لما ثبت عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ لَمَّا تُوُفِّيَ جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ، وَصَلِّ عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَمِيصَهُ فَقَالَ: آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ. فَآذَنَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ جَذَبَهُ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ: أَلَيْسَ اللهُ نَهَاكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ؟ فَقَالَ: أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ؛ قَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾».[1]

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾، أي: لا تصل على أحدٍ من هؤلاء المنافقين، الذين تخلفوا عن الخروج معك، والذين يؤذونك ويؤذون المؤمنين.

﴿وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.

أي: ولا تتول دفنه وتقم على قبره تدعوا وتستغفر له كما تفعل مع من مات من المؤمنين، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي على أحد من المنافقين، ولا يقوم على قبره، بعد نزول هذه الآية، وكان عمر بن الخطاب لا يصلي على جنازة من جهل حاله، حتى يصلي عليها حذيفة بن اليمان؛ لأنه كان يعلم أعيان المنافقين وقد سماهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا كان يلقب بـ (صاحب السر) الذي لا يعلمه غيره من الصحابة.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الْكَفَنِ فِي الْقَمِيصِ الَّذِي يُكَفُّ أَوْ لَا يُكَفُّ وَمَنْ كُفِّنَ بِغَيْرِ قَمِيصٍ، حديث رقم: ١٢٦٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وروى ابن أبي شيبة عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: مَاتَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ حُذَيْفَةُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَمِنَ الْقَوْمِ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: بِاللَّهِ، مِنْهُمْ أَنَا؟ قَالَ: «لَا، وَلَنْ أُخْبِرَ بِهِ أَحَدًا بَعْدَكَ».[1]

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

بيان للعلة التي من أجلها نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليهم والقيام على قبورهم، إنهم ليسوا أهلًا للصلاة عليهم، لأنهم جحدوا وحدانية الله تعالى، وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم، وماتوا وهم مارقون من الدين، خارجون عن الإسلام.

١ - رواه ابن أبي شيبة في المصنف- حديث رقم: ٣٧٣٩٠، وأبو بكر الخلال في كتاب السنة- بَابُ مُنَاكَحَةِ الْمُرْجِئَةِ، حديث رقم: ١٢٨٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٨٥

تقدم الكلام على نظير هذه الآية في هذه السورة وهو قوله تعالى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥]، والحكمة من تكرار الآية على وجه الإجمال التأكيد والمبالغة في التحذير، وقيل: نزلت لأن كل آية في فرقة من المنافقين غير الأخرى.

قال الزمخشري: وقد أعيد قوله ﴿وَلا تُعْجِبْكَ﴾؛ لأنّ تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده، وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه.[1]

وأما الحكمة على وجه التفصيل، فإن بين الآيتين فروقًا أربعة:

قال في الأولى: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ﴾، وقال في الثانية: ﴿وَلا تُعْجِبْكَ﴾، والحكمة أن الله تعالى لما بين لرسوله صلى الله عليه وسلم حال المنافقين، قال له: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ﴾، وفي الآية الثانية كان الكلام عطفًا على قوله: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾.

وقال في الأولى: ﴿أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ﴾، وقال في الثانية: ﴿أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ﴾، والحكمة أن الآية الأولى المقام فيها مقام ذم أموالهم إذ لم ينتفعوا بها، فكان ذكر الأولاد كالأمر المستقل فأعيد حرف النفي في عطفه، وكان المقصود في الآية الثانية تحقير شأن الأموال والأولاد معا.

وقال في الأولى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾، وقال في الثانية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ﴾، والحكمة أن لام التعليل فى الآية الأولى لزيادة التأكيد بلا تراخي، أما في الآية الثاني فذكر (أن) يقتضي أن التأكيد لم يبلغ فى الآية الثانية مبلغ الآية الأولى فهي ليست في قوة اللام، مع ما يشعر بما فيها من التراخي. أفاده ابن الزبير الغرناطي.[2]

وقال في الأولى: ﴿لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وقال في الثانية: ﴿أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾، والحكمة في ذكر الحياة في الآية الأولى أن النهي عن الإعجاب بالأموال والأولاد

---

١ - تفسير الكشاف (٢/ ٢٩٩)

٢ - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل (١/ ٢٣٢)

كان حال حياتهم، وفي الثانية كان بعد موتهم لقوله: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾، فلم تبق لهم حياة لتذكر.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

قال الماوردي: قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾. يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: يعذبهم بحفظها في الدنيا والإشفاق عليها. والثاني: يعذبهم بما يلحقهم منها من النوائب والمصائب. والثالث: يعذبهم في الآخرة بما صنعوا بها في الدنيا عند كسبها وعند إنفاقها. وحكى ابن الأنباري وجهًا رابعًا: أنه على التقديم والتأخير، وتقديره: ولا تعجبك أموالهم وأولادهم في الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة.[1]

١ - تفسير الماوردي النكت والعيون (٢/ ٣٨٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٨٦، ٨٧

مازال الحديث في بيان فضائح المنافقين، وهتك أستارهم، يقول الله تعالى عن هؤلاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾، وإذا أنزلت أي سورة من القرآن فيها الأمر بالإيمان بالله تعالى، وفيها الأمر ابلجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بادر أصحاب الغنى، وذوو اليسار والسعة منهم إلى طلب الإذن بالتخلف عن الجهاد مع قدرتهم على الجهاد والنفقة.

و(أنْ) هنا تفسيرية، أي: أنزلت سورة فيها آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله، ﴿أُولُو الطَّوْلِ﴾؛ أي: أصحاب الغنى، وسمي الغنى طولًا؛ لأن صاحبه يستطيل به على غيره.

﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

أي: وقالوا دعنا نقعدْ مع المتخلِّفين.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾.

الخوالف على وزن فواعل، جمع الإناث مثل القواعد، وهي في الأصل الأعمدة التي تكون في أواخر البيوت، فاستعير ذلك للنساء لكثرة لزومهن البيوت؛ أي: رضوا هؤلاء المنافقون بأن يكونوا مثل النساءِ المتخلِّفات.

﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

أي: وخُتم على قلوبهم فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر، وهي أشد عقوبة يمكن أن يعاقب بها إنسان؛ ولذلك لإيثارهم الكفر على الإيمان.

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

أي: فهم لا يفهمون عن الله تعالى مراده، لانطماس بصائرهم، وانتكاس فطرهم؛ ومنه قوله تعالى حكاية عن قول قوم شعيب: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]؛ أي: ما نفهم.

الأساليب البلاغية:

الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾؛ فقد سمي النساء خوالف، تشبيهًا لهن بالخوالف، وهي الأعمدة تكون في أواخر البيوت لكثرة لزوم البيوت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٨٨، ٨٩

مناسبة الآية لما قبلها:

لما وصف الله تعالى حال المنافقين في إعراضهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيثارهم القعود مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار، وما ينتظرهم يوم القيامة من العذاب المقيم، ذكر الله تعالى هنا حال الرسول صلى الله عليه وسلم وحال المؤمنين من إيثارهم مرضاة الله تعالى على الراحة والدعة، ولو كان في ذلك تلف الأبدان وذهاب الأموال، وما أعده الله تعالى لهم في الآخرة من الكرامة في جنالت النعيم.

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾.

(لَكِنِ) حرف استدراك يؤذن أن مضمون ما قبله نقيض مضمون ما بعده، فإن حال الرسول صلى الله عليه وسلم وحال المؤمنين معه يغاير حال المنافقين مغايرة تامة، ويختلف عنه من كل وجه، فالرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، بخلاق المخلفين من المنافقين، والمعنى: إن تخلف هؤلاء المنافقون فقد خرج إلى الجهاد من هو خير منهم حالًا، وأصدق إيمانًا؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾.[1]

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

الخيرات: جمع خيرة وهو المستحسن من كل شيء، يخبر الله تعالى عنهم بأنهم لهم عند الله تعالى كل خير في الدنيا والآخرة؛ فإن الألف واللام تفيد العموم، فيشمل ذلك كل خير في الدنيا والآخرة، فقد جمع الله تعالى لهم العزة والغنى في الدنيا مع ما ينتظرهم من النعيم المقيم في الآخرة، وقيل: ﴿الْخَيْرَاتُ﴾ الحور العين لقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ﴾ [الرحمن:

---

١ - سورة الأنعام: الآية/ ٨٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧٠]، والراجح أن اللفظ يشمل كل خير، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾؛ أي: ومع ذلك فهم الفائزون بكل مطلوب، وتقديم الضمير لقصر الفلاح عليهم.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

هذا تفسير لما أبهم في الآية السابقة من لفظ: الخيرات، وفي الآية بيان عناية الله تعالى بأوليائه، وأنه قد هيء لهم من النعيم المقيم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، مع الخلود الدائم الذي لا ينقطع، وذلك الفوز العظيم الذي لا يدانيه فوز.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٩٠

﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾: قيل: هم الذين بالغوا فِي الْعذر؛ أي: المعتذرون، وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما، يقال في المثل: (قد أعذر من أنذر)؛ أي: قد بالغ في إظهار العذر من أنذرك المخوف.

وقيل: هم المقصرون المعتذرون بالباطل، وهو قول قتادة وجماعة، وسبب الخلاف أن لفظ: ﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ من ألفاظ الأضداد، والراجح أنهم الذين بالغوا في الاعتذار لقوله تعالى بعدها: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ أي: لم يأتوا فيعتذروا، ولو كان الجميع سواءً لم يكن لوصف الذين قعدوا بالكذب اختصاص، وكان تركيب الكلام: (سيصيبهم عذاب أليم).

و﴿الأَعْرَابِ﴾: هم سكان البوادى.

والعطف هنا عطف جملة على جملة، عطف جملة: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾، على جملة: ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾، وما بينهما جمل معترضة.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾، قال ابن عباس: هم الذين تخلفوا بعذر بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة.

﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أي: وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار، جرأة منهم على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وهم الذين كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وعيد من الله تعالى لمن مات على الكفر منهم بالعذاب الأليم يوم القيامة، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾، بيان أن هذا الحكم لمن مات منهم على الكفر، ولم يتب من كفره قبل موته، فتكون من هنا تبعيضية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٩١

لَمَّا ذم الله تعالى المخلفين عن الجهاد وبيَّنَ أن منهم من كان معذورًا، ومن كان ملومًا، ذكر الله تعالى هنا أصنافًا من المؤمنين من ذوي الأعذار

﴿الضُّعَفَاء﴾: هم الذين لا قوةَ لهم بسبب كبرِ سنٍّ أو زَمانةٍ أو عَرَجٍ أو عمًى.

و﴿الْمَرْضَى﴾: الذين بهم علةٌ عارضة يُرجى زوالها لكنهم لا قدرة لهم الآن.

و﴿الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾: هم الفقراء.

والحرج: الضيق، والمراد به الضيق والإثم الناتج عن مخالفة تكاليف الشرع.

بين تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد عن القتال بسببها، فبدأ بما هو لازم للشخص لا ينفك عنه وهو ضعف البنية بسبب كبر السن، أو العمى أو العرج ونحو ذلك، ومنها عذر عَرَضَ بسبب مرضٍ حال بينه وبين الخروج في سبيل الله، ومنها الفقر الذي لا يجد معه نفقات التجهز للحرب، فبين تعالى أن هؤلاء لا حرج عليهم في القعود عن الخروج إذا نصحوا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإعادة حرف النفي في عطف الضعفاء والمرضى لتوكيد نفي المؤاخذة عن كل فريق بخصوصه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ».[1]

١ - رواه البخاري-كتاب المغازي، بَابٌ، حديث رقم: ٤٤٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ».[1]

﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

أصل النصح: إخلاص العمل من الغش؛ أي: إذا أخلصوا إيمانهم وأعمالهم لله تعالى، وأطاعوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ وحضوا الناس على الجهاد، ولم يرجفوا بهم، ولم يثبطوهم عن الخروج.

﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

أي: لا إثم عليهم ولا عقاب، فليس على من أحسن فنصح لله ورسوله حال تخلفه عن جهاد لعذر يعذر به طريق يعاقب من قِبَلِهِ.

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

تذييل لبيان حاجتهم إلى المغفرة والرحمة وإن كان تخلفهم بعذر.[2]

الأساليب البلاغية:

وفي الآية من أساليب البلاغية: وضْعُ الظاهر (الْمُحْسِنِينَ) موضِعَ المضمر للدِلالة على انتظامهم بنُصحهم لله ورسولِه في سلك المحسنين.[3]

والتمليح، وهو أن الإشارة في فحوى الكلام إلى مثل سائر، أو ما يجري مجرى المثل.[4]

---

١ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ ثَوَابِ مَنْ حَبَسَهُ عَنِ الْغَزْوِ مَرَضٌ أَوْ عُذْرٌ آخَرُ، حديث رقم: ١٩١١

٢ – تفسير أبي السعود (٤/ ٩٢)

٣ – تفسير أبي السعود (٤/ ٩٢)

٤ – انظر البحر المحيط في التفسير (٥/ ٤٨٣)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾. سورة التوبة: الآية/ ٩٢

سبب نزول الآية:

نزلت هذه الآية في سبعة نفرٍ سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم على الدَّوابِّ فقال: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، فانصرفوا وهم يبكون شوقًا إلى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحزنًا لضيق ذات اليد.

قال الواحدي: نزلت في البكائين، وكانوا سبعة: معقل بن يسار، وصخر بن خنيس وعبد الله بن كعب الأنصاري، وعلبة بن زيد الأنصاري، وسالم بن عمير، وثعلبة بن غنمة، وعبد الله بن مغفل. أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا نبي الله، إن الله عز وجل قد ندبنا إلى الخروج معك، فاحملنا على الخرق المرقوعة والنعال المخصوفة، نغزو معك. فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وهم يبكون.[1]

وقال محمد بن كعب: كانوا سبعة نفر، من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير ومن بني واقف: هرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار: عبد الرحمن بن كعب، ويكنى أبا ليلى ومن بني المعلى: سلمان بن صخر ومن بني حارثة: عبد الرحمن بن يزيد، أبو عبلة، وهو الذي تصدق بعرضه فقبله الله منه ومن بني سلمة: عمرو بن عنمة وعبد الله بن عمرو المزني.[2]

وقال مجاهد: نزلت في بني مقرن: معقل وسويد والنعمان.

ومنهم العرباض بن سارية روى ابن جرير عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي، قالا: "دخلنا على عرباض بن سارية، وهو الذي أنزل فيه: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾.[3]

---

١ - أسباب النزول للواحدي (ص٢٦٢)

٢ - تفسير ابن كثير- ت: السلامة» (٤/ ١٩٩)

٣ - تفسير الطبري جامع البيان- ط: هجر (١١/ ٦٢٦)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾.

العطف على الضعفاء والمرضى في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ...﴾؛ أي: ولا حرج على الذين إذا ما أتوك لتحملهم على الدواب للمشقةِ، وبُعد الشُّقةِ قلت لهم: لا أملك ما أحملكم عليه.

﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾.

أي: رجعوا وقد امتلأت أعينهم من الدمع، قال الزمخشري: وهو أبلغ من يفيض دمعها، لأنّ العين جعلت كأن كلها دمع فائض.[1]

يطلق التولي في القرآن على ستة أوجه:[2]

الأول: الانصراف؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: ٢٤]، دل على أنه كان في الشمس فانصرف إلى الظل. وهذا المعنى هو المراد في هذه الآية: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾.

والثاني: بمعنى الامتناع، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، معناه: فإن امتنعوا من الإيمان بك والرضا بحكمك.

والثالث: الإعراض؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]؛ أي: فمن أعرض.

الرابع: الهزيمة؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦]؛ يعني: الهزيمة عنهم.

الخامس: ولاية الأمر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ [النور: ١١]؛ أي: تولى الإثم فيه، كأنَّه صار صاحب الإثم فيه.

---

١ - تفسير الكشاف (٢/ ٣٠١)

٢ - الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري (ص: ١٤٤- ١٤٦) بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السادس: الولاية التي هي خلاف العداوة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.[١]

ومن في قوله: ﴿مِنَ الدَّمْعِ﴾، بيانية، ﴿حَزَنًا أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾. أي: حزنوا لأنهم لا يجدون ما ينفقون.

الأساليب البلاغية:

منها: ذكر الخاص بعد العام في قوله: ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾؛ لأنهم داخلون في الذين لا يجدون ما ينفقون، ذكرهم اعتناء بشأنهم.

١ - سورة الممتحنة: الاية/ ١٣

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ.....﴾.	٤
﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ.﴾.	٨
﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ.....﴾.	١٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا.....﴾.	١٣
﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ.....﴾.	١٦
﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ.....﴾.	١٨
﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ.....﴾.	٢٠
﴿وَلَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ.....﴾.	٢٢
﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾.	٢٤
﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ.....﴾.	٢٦
﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.	٢٧
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ.....﴾.	٢٩
﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.	٣١
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ.....﴾.	٣٣
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ.....﴾.	٣٥
﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ...﴾.	٣٦
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.	٣٨
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ.﴾.	٣٩
﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ.....﴾.	٤١
﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ.....﴾.	٤٤

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ.....﴾.	٤٦
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا.....﴾.	٤٩
سُورَةُ التَّوبَةِ	٥١
﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.	٥١
مقاصد السّورة إجمالاً:	٥٢
سبب نزول السورة:	٥٤
﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ....﴾.	٥٧
﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ....﴾.	٥٩
﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.....﴾.	٦٣
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ....﴾.	٦٥
﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلا الَّذِينَ.....﴾.	٦٧
﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ...﴾.	٦٨
﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا...﴾.	٦٩
﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ..﴾.	٧١
﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ..﴾.	٧٢
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ.....﴾.	٧٤
﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ..﴾.	٧٦
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ...﴾.	٧٧
﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ.....﴾.	٧٩
﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾.	٨٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ.....﴾.	٨٥
﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ.....﴾.	٨٦
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ..﴾.	٨٨

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَلى مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.	٩٣
﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ.﴾.	٩٥
﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ.....﴾.	٩٧
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ.....﴾.	٩٩
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ....﴾.	١٠١
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ.....﴾.	١٠٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ..﴾.	١٠٦
﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ.....﴾.	١٠٩
﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللَّهِ.....﴾.	١١١
﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا.....﴾.	١١٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾.	١١٧
﴿إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ.....﴾.	١٢٠
﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ....﴾.	١٢٣
﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ...﴾.	١٢٥
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ...﴾.	١٢٧
﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ..﴾.	١٢٨
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا.....﴾.	١٣٢
﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا.....﴾.	١٣٤
﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنا إِلاّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ.....﴾.	١٣٦
﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا.....﴾.	١٣٨
﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.	١٤٠
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا.....﴾.	١٤٢
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.	١٤٤

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ....﴾.	١٤٨
﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ.....﴾.	١٥٠
﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ.....﴾.	١٥٢
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ.....﴾.	١٥٣
﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ.....﴾.	١٥٥
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ.....﴾.	١٥٧
﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالا وَأَوْلادًا.....﴾.	١٥٩
﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ...﴾.	١٦٢
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ....﴾.	١٦٤
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ.....﴾.	١٦٦
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ.....﴾.	١٦٩
﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ.﴾.	١٧١
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ.....﴾.	١٧٤
﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ.....﴾.	١٧٧
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً.....﴾.	١٧٩
﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا....﴾.	١٨١
﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ.....﴾.	١٨٣
﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا.﴾.	١٨٤
﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾.	١٨٦
﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ.....﴾.	١٨٨
﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ.....﴾.	١٩٠
﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ...﴾.	١٩٢
﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ...﴾.	١٩٣

﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ....﴾.	١٩٥
الفهرس.	١٩٨